رسالة شخصية

لأبناء وبنات السادة العلوية

من ذراري الإمام المهاجر والفقيه المقدم ومن ارتبط بمنهجهم المبارك

في داخل وخارج الديار الحضرمية

بقلم خادم السلف

أبي بكر العدني ابن علي المشهور

اسم الكتاب: رسالة شخصية.. لأبناء وبنات السادة العلوية.. من ذراري الإمام المهاجر والفقيه المقدم ومن ارتبط بمنهجهم المبارك.. في داخل وخارج الديار الحضرمية
اسم المؤلف: أبوبكر العدني ابن علي المشهور
الطبعة الأولى ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م

الناشر

مركز الإبداع الثقافي للدراسات وخدمة التراث
+٩٦٧٢ ٢٥١٠٨٩
facebook/centreibdaa
الجمهورية اليمنية - عدن ص.ب ٧٠٠١٤
www.goraba.com

الموزعون

اليمن مكتبة تريم الحديثة - حضرموت - تريم - شارع عيديد الرئيسي
٠٠٩٦٧٥ ٤١٧١٣٠ tmbs417130@hotmail.com

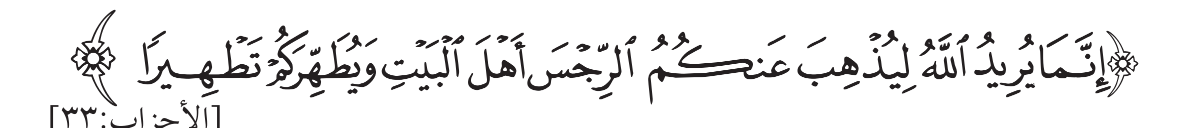
الاردن دار الفتح للدراسات والنشر، عمان، المملكة الأردنية الهاشمية
هاتف ٠٠٩٦٢٦ ٤٦٤٦١٩٩ فاكس ٠٠٩٦٢٦ ٤٦٤٦١٨٨
ص.ب. ١٨٣٤٧٩ عمان ١١١١٨ الاردن info@daralfath.com

ص الامارات دار الفقيه للنشر والتوزيع-أبوظبي الإمارات العربية المتحدة، هاتف : ٠٠٩٧١٢٦٦٧٨٩٢٠ فاكس: ٠٠٩٧١٢٦٦٧٨٩٢١



بسم الله الرحمن الرحيم

المطلع القرآني



صدق الله العظيم

المطلع النبوي

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، إِذْ أَقْبَلَ فِتْيَةٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، فَلَمَّا رَآهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، اغْرَوْرَقَتْ عَيْنَاهُ وَتَغَيَّرَ لَوْنُهُ، قَالَ، فَقُلْتُ: مَا نَزَالُ نَرَى فِي وَجْهِكَ شَيْئًا نَكْرَهُهُ، فَقَالَ : «**إِنَّا أَهْلُ بَيْتٍ اخْتَارَ اللَّهُ لَنَا الْآخِرَةَ عَلَى الدُّنْيَا، وَإِنَّ أَهْلَ بَيْتِي سَيَلْقَوْنَ بَعْدِي بَلَاءً وَتَشْرِيدًا وَتَطْرِيدًا، حَتَّى يَأْتِيَ قَوْمٌ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَعَهُمْ رَايَاتٌ سُودٌ، فَيَسْأَلُونَ الْخَيْرَ، فَلَا يُعْطَوْنَهُ، فَيُقَاتِلُونَ فَيُنْصَرُونَ، فَيُعْطَوْنَ مَا سَأَلُوا، فَلَا يَقْبَلُونَهُ، حَتَّى يَدْفَعُوهَا إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي فَيَمْلَؤُهَا قِسْطًا، كَمَا مَلَئُوهَا جَوْرًا، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ، فَلْيَأْتِهِمْ وَلَوْ حَبْوًا عَلَى الثَّلْجِ**»[1].

قلتُ: وقد فسر ابن كثير هذا الحديث بأنه احتمله واقع مرحلته التي عاشها حيث قال: (ففي هذا الحديث إشارة إلى ملك بني العباس كما تقدم التنبيه على ذلك عند ذكر ابتداء دولتهم في سنة ١٣٢هـ وفيه دلالته على أن المهدي يكون بعد دولة بني العباس)[2] ا.هـ .

---

(١) سنن ابن ماجه (٤٠٨٢) ، والفتن لنعيم بن حماد (٨٩٥) ، مصنف ابن أبي شيبة (٣٧٧٢٧).
(٢) البداية والنهاية لابن كثير ط هجر (١٩/ ٦١) .

والحقيقة المثبتة في النص النبوي لا علاقة لها بتغيرات أهل العلم سواء في أول الزمان أو في آخره ، فالعلماء يقرؤون المراحل قراءة مجردة عن فقه التحولات، ولكنهم يوظفون الأحاديث حسبما تسير به الأحداث أو يتصورون مطابقتها للنصوص.

والصحيح إن شاء الله أن النصوص النبوية في فقه التحولات يرتبط بعضها ببعض ويفسر بعضها بعضا على صفة السلسلة المتتابعة، كل حلقة تؤدي إلى ما بعدها، وخاصة في فتن السياسة ذات العلاقة بقراري الحكم والعلم، وربما حَمَلَ الحديثُ الواحدُ في فقه التحولات التناولَ لعدة مراحل زمنية وسياسية كما هو في هذا الحديث المتناول هنا، فقد استخلصنا منه سبع مراحل متتابعة لها ضوابطها في الإقدام والإحجام﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [المائدة:٤١].

المطلع الأبوي

يا بني عبد المطلب لا ألفينكم تخوضون في دماء المسلمين تقولون: (قُتِل أمير المؤمنين)، ألا لا يقتلن إلا قاتلي، انظر يا حسن إن أنا مِتُّ من ضربته هذه فاضربْهُ ضربة، ولا تُمثل بالرجل، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إياكم والمُثلة، ولو أنها بالكلب العَقور**»[1].

قال الإمام علي للحسن رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا : إن بقيتُ رأيتُ فيه رأيي، وإن هلكتُ من ضربتي هذه فاضربه ضربةً، ولا تُمثِّل به فإنِّي سَمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يَنهى عن المُثلَةِ ولو بالكلبِ العَقور[2].

---

(١) ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى (١/ ١١٦)، تاريخ الطبري (٥/ ١٤٨).
(٢) المعجم الكبير للطبراني (١٦٨)

شاهد الحال

لَنْ يَقْبَلَ العِلْمَ هٰذَا غَيْرُ مَنْ فَهِمُوا سِرَّ الرَّوَابِطِ بَيْنَ الدِّينِ وَالحَدَثِ

وَكُلِّ ذِي وَرَعٍ يَخْشَى عَوَاقِبَهُ وَيَرْغَبُ الفَوْزَ يَوْمَ العَوْدِ لِلْجَدَثِ

وَطَالِبٍ لم يَزَلْ غَضًّا بِفِطْرَتِهِ لَمْ يَخْتَلِطْ بِمَزِيجِ الإِفْكِ وَالعَبَثِ

وَعَائِدٍ تَائِبٍ مِنْ بَعْدِ أَنْ عَصَفَتْ بِهِ الظُّرُوفُ فَجَافَى مَنْهَجَ الخَبَثِ

المؤلف

الإهداء

إلى أبناء وبنات الإمامين العلمين: الإمام المهاجر أحمد بن عيسى مؤسس مدرسة حضرموت العالمية، والإمام الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي مؤسس الطريقة الصوفية الذوقية، ومن ارتبط بمنهجهم المبارك.

وأسألكم بثقة: متى أصبحنا ضحية العواصف الفكرية المتمرحلة؟ ومن المسؤول؟

ما هو مقدار المعرفة العلمية لدينا نحو مدرستنا وطريقتنا وهويتنا المتصلة بأسانيدها إلى مصدرها الأول - رسول الله ﷺ؟

وما موقفنا الثابت أمام التحولات المستجدة؟، وما موقفنا الراسخ تجاه ثوابت المدرسة والطريقة ولو من بعض الوجوه؟

ثم.. من نحن في خِضم الصراع السياسي والطائفي والعقدي والطبقي المسيس في مرحلتنا المعاصرة؟

هل لنا رقم يُعتد به؟ هل لنا منهج نتمسك به؟ هل لنا سند نتصل به؟

وأخيراً.. إلى أين تسير بنا وبالأمة سفينة الغثاء المُدَوْنَم والمُعَلْمَن والمُعَوْلَم؟..

ربما لا نفقه معاني المصطلحات، فكيف سنفقه حقيقة من يستثمرها؟

اللهم لا شماتة... و«**من يُرد اللهُ به خيراً يُفقِّهْهُ في الدين**» [صحيح البخاري (٧١)].

المؤلف

البوابة الأبوية

هذه الرسالة تهدف إجلاء الغموض الذي أصاب الأحفاد

الحمد لله الذي ربط الأواخر بالأوائل، وخاصة من كانوا من ذراري آل البيت الأفاضل، والصلاة والسلام على الأب الأول، والأصل الأمثل، سيدنا محمد بن عبد الله الذي انبثق من نوره نور ذراريه وآل بيته الطيبين الطاهرين المتصلين سنداً وذاتاً بالجَد الأشمل، صلى الله عليه وآله وأصحابه الخيِّرين، وعلى أتباعه الصالحين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين..

وبعدُ فهذه رسالة خاصة لأبناء الإمامَيْنِ العَلَمَيْنِ:

- الإمام المهاجر إلى الله أحمد بن عيسى
- والإمام الفقيه المقدَّم محمد بن علي باعلوي

وضعتُها حرصاً مني على إجلاء الغموض الذي أصاب أحفاد هذين العَلَمَيْن، والجهل الذي طرأ في بعض المتفوهين عن السلف الصالح بما لا يحسن ذكره ولا يشاع خبره، لما هم عليه من حيرة ضاربة، وفتنة سالبة، وخصوصاً فيما هو من شأن أهل العلم تفصيله وبيانه وليس من شأنهم.

ظن البعض أنه ما دام له بـ(الحبايب) صلة فلا شيء يمنعه من إثارة المسألة

وأهل العلم في زماننا شغلوا بما هم فيه وعليه فانبرى للأمر من لا يعرف منه غير انتمائه إليه،وظن أن نسبه الشريف كافٍ للحديث عن منهج السلف المنيف، وما دام له بـ(الحبايب) صلة، فما الذي يمنعه من إثارة المشكلة، حتى وقع التناول المشين، في الخلط والخبط المهين، وجاء من الأحفاد من يربط الفقيه

والمهاجر بمدارس الإفراط والتفريط العاثر، وبأقاويل أهل الغلو والجفاء من الساسة المتحذلقين في الزمن الحاضر، والأبناء الغافلين عن تسلسل منهج آل البيت الأكابر، وخاصة فيما يتعلق بمدرستنا الأبوية في وادي حضرموت وما تفرع عنها في مجموع العالم الإسلامي من الخيرات والبركات والمظاهر.. فحملتُ قلمي مبيِّناً للأبناء والأحفاد حقيقة المسألة على أصلها المعتاد، ومن حيثما عاش الآباء والأجداد، دون تلون ولا تحذلق، ولا كذب ولا تشدق، ولا انتظار لمحمدة من جهة معينة، أو موافقة من كتلة مقننة، فالجميع لا علاقة لهم بالمدرسة ولا بالطريقة، وإنما علاقتهم بسياسة المرحلة واستثمارها على وجه الغمط للحقيقة، والطمس للوثيقة، وهذا هو أسلوب الدجل والدجاجلة، في كل زمن ومرحلة، وحاشَا والله وكلا أن نتركهم يستثمرون فساد المراحل، وعبث المفسدين في المجتمع الماحل، ليقلبوا المِجَنَّ على مدرستنا وطريقتنا بما يحلو لهم من فنون الإفك المسيس.

فمدرستنا وطريقتنا مدرسة وطريقة إسناد، وعبادة وعلم واجتهاد، ومنهج شرعي متكامل لا مكان فيه للعبث والفساد والإفساد، بل لو أدركوا الحقيقة لوجدوها مدرسة أقرب إلى نفعهم ونفع أبنائهم وبناتهم ونفع مجتمعاتهم الغارقة في الصراع والمنافسة والتحريش.

وهاك صحة ما أقول.. ولكن قبل أن أخوض غمار الموضوع أهيب بالقارئ المخلص أن يتجرد عن سوء فهمه ولو لمدة قراءته فلا يعجل ولا يستعجل، ولا يجعل ما سمعه ويسمعه من كلا الطرفين هو السبب في القبول أو الرد...

في البدء أهيب بالقارئ أن يتجرد عن سوء الفهم مدة القراءة

الرد والقبول مُناطٌ بالنصوص لا بالأقوال فتعال لترى شرف الأئمة وبركة مراتب الإمامة وأصول مذاهب الإمامية

فالرد والقبول ليس موكولاً إلى سماع الأقوال، وجعجعة الاستشكال، وإنما هو مُناطٌ بالنصوص، وما جاء به القول المثبت المنصوص. فتعال معي في هذا المتجه لنرى شرف الأئمة الأكابر، وبركة مراتب الإمامة في رجال الباطن والظاهر، وعجائب الأصول في مذهب الإمامية الحق خلال مرحلة الأئمة الأطهار المفاخر، كالإمام جعفر الصادق وأبيه محمد الباقر، ومن تلاهم ومن تبعهم من علماء الإسلام ورجال المذاهب المعروفة بين الشعوب والعشائر.

فلعل الصورة تتضح، والإفك يفتضح، وترى الأئمة في إمامتهم يصلحون ما أفسده المُحتكِرون لمذهب آل البيت كي يفرضوه على الشعوب بديلاً يُفرِّق بين أهل الدين الواحد والقرآن الواحد والنبي الواحد والمصير الواحد ، كما فعل قبلهم سماسرة مرحلة الغثاء المسيس في جزيرة العرب عندما ضربوا المذهبية الإسلامية والصوفية الأبوية، ومبدأ سفن النجاة من أهل البيت الأطهار بمجموعات الشبه والمتناقضات البدعية التي خرجت عن دوائر الحكمة والموعظة الحسنة، وشغلت أحفاد سادة الصلح وبقية السيف عن إصلاح ما أفسده المستعمرون والمستثمرون إلى متاهة الاغتراب والصراع حول الزيارات والقبابُ ، تتميماً لمشروع النقض للعلم والقيم والعلاقات والقبض للعلماء وللمناهج والأساليب التقليدية الأبوية، ليتحقق على أيدي ضحايا المرحلة شمول الحيرة في الأجيال وانفصام التربية من التعليم ، وانفصام الحكمة والموعظة عن الدعوة ، وانفصام الركن الرابع من أركان الدين عن الثلاثة الثوابت، وليستثمر الشيطان والدجال والدجاجلة مواقعهم في القرار ليدمروا حقيقة الاستقرار في أمة محمد ﷺ وقد فعلوا ..

ضحايا الخدمات وعبيد المؤسسات مظلومون أكثر من ظلم آل البيت

ولا يزال التوسع في التدمير المسيس ماضياً وبأيدي هذه الجماعات المقبوضة، والعقليات المنقوضة، وقد منحهم إبليس أساليب الحركة وقدرة الامتلاك لرقاب المخدوعين من ضحايا الخدمات وعبيد المؤسسات المظلومين أكثر من ظلم آل البيت، والمسخرين لتخريب بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين، المؤمنين بالخراب والدمار ، الحاملين ألوية الفساد والإفساد..

إنه ظلم عام للشعوب وديانتهم وتاريخهم الشرعي، وما أهل البيت النبوي إلا شريحة من شرائح المظلومين في خضم سيادة الدجل والدجال والدجاجلة، وما منهج الأئمة الأطهار إلا واحد من المناهج الشرعية التي وظَّفها سماسرة العرض والطلب من منهج حياة وأطواق نجاة إلى أحابيل وأضاليل وتناقض وتباغض وصراع طبقي أو صراع اعتقادي أو صراع طائفي أو صراع سياسي أو اجتماعي أو مذهبي أو شبه مذهبي وذلك بسلب حقيقة أسباب السلامة في قيادة هذه المبادئ لتتحول إلى أيدي المترسمين بالعلم، وعُشَّاق سياسة الحُكم، وفي هذا الشأن المخيف كان المعلِّم الأعظم والرسول الأكرم ﷺ يتحدث في علامات الساعة عن حصول هذه الظاهرة في الأمة ساعة تضييع الأمانة وساعة توسيد الأمر إلى غير أهله، وقد حصل ما أخبر عنه ﷺ في أمته كلها وفي آل البيت النبوي بالخصوص.

آل البيت وموقعهم بين الناس تهمة تؤدي إلى ما لا يحمد عقباه أو معصومون يوحى إليهم

ولأنَّ آل البيت بشرٌ لا يخرجون عن دائرة الناس من الأشباه والأمثال – كما هو مقرر في شريعتنا الغراء – فقد حاولت مدارس القبض والنقض المقنَّعة من طرفي الغلو على أن تجعل العصمة والوحي من تركيب آل البيت ، أو جعلتهم معصومين يوحى إليهم، وكأنهم أنبياء كما هو أهل الإفراط ومجموعاتهم الغالية،

كما حاولت مدارس القبض والنقض المصنَّعة من طرف الجفاء على سلب آل البيت كل شيء يميزهم ويبرز لهم فضائلهم ومقامهم الممنوح من ربهم ونبيهم عليه الصلاة والسلام حتى شرف الصلة والنسبة ، ليتحول إلى كراهية وبغض وعداوة وتربص وتشريك وتبديع وضلالات وعبادة من لا يستحق العبادة ، بل إن مجرد ذكر آل البيت صار في قواميسهم تهمةً تؤدي إلى ما لا تُحمد عقباه كما فعل أسلافهم من أصحاب سياسة الملك العضوض ، لأن (العضوضية) قاسم مشترك بين حملة القرار بصرف النظر عن المراحل والعرقيات والأنساب والمبادئ.

العضوضية قاسم مشترك بين حملة القرار بصرف النظر عن المراحل والعرقيات

إنني أتحدث بجدية، وفوق مستوى المجاملات والتورية، لأن آل البيت في أساس الأمر هم أهلي وذاتي وكياني وحاضري ومستقبلي ، وكذلك بقية المسلمين هم إخوتي ومصيري وهدفي وغايتي المنشودة ، ولا مجال أمام هذا الإدراك المسؤولَ ـ وقد علمتُ وعرفتُ ما يحاك ويدار خلف الستار والجدارِ أن أحابي حاملَ قرارٍ مستغفلاً ، أو أُداريَ عالمَ فئةٍ أو حزبٍ مخدوعاً، وبين أيدينا نماذج التسييس والتدنَيس شاهدةٌ على انخداعنا واستغفالنا وضرب بعضنا ببعض وبأيدي أعدائنا التاريخيين .

وهذه مرحلة الاستعمار بكافة ثمراتها ماثلة للعيان، وتلتها مراحل الاستهتار بكافة ضحاياها وبقاياها المنتشرة في المدن والأرياف وداخل الأوطان، ونحن الآن نعيش مرحلة الاستثمار بكافة وسائلها ومسائلها المعدَّة لإنجاح (الفوضى الخلاقة) في العالم المخدوع، وسلب العقل والقلب المطبوع على غير بوصلة ولا ميزان ، لندخل إلى مرحلة الاستنفار.. وهل بعد هذا الإفصاح من إفصاح، وهل بعد هذا الإيضاح من إيضاح؟

الإسلام فوق مستوى العرقية لكن الشيطان أبى إلا النظرة الجزئية

إن الإسلام قضية، وعلاقتنا الشرعية من خلاله أمر ذو أهمية، وهو بلا شك فوق مستوى العرقية والعصبية والسلالية والطائفية وفوق مستوى القومية، ولكن الشيطان أبى وهو يعلم فائدة التفرقة والنظرة الجزئيةَ إلّا أن يطوي الجميع تحت معطفه ويشغلهم بخدمة مبادئه، ويستثمر فيهم طباعهم ليروِّضوا الإسلام ومبادئه للتفرقة، والمنازعة والتحريش والتشويش ، فهم ـ ولا فخر ـ بين صراع القومية والمذهبية والطائفية والقبلية والسلالية والطبقية والمناطقية والحزبية والفئوية وغيرها من وسائل التفرقة بين الشعوب.. وخذوا لكم مثالاً واعياً..

الصراع العقدي بين المصلين – وقد بلغ أعلى درجات التفرقة المسيسة – أين موقع التحريش فيه؟ وأين موقع التسييس منه؟ من المجيب؟

الحزبيون والفئويون والحكوميون كلهم لا يجيب عن مواقع التحريش

الحزبيون لا يجيبون، لأن الإجابة غير متوفرة في قواميس الحزب ولا يقرؤونها (وفاقد الشيء لا يعطيه).

الفئويون لا يجيبون، لأن الإجابة تشغلهم عن تنفيذ ما هم بصدده، وما عاشوا من أجله (وكل إناء بالذي فيه ينضح).

الحكوميون لن يجيبونا أساساً، لأن موقع القرار لا يتبنى الإجابات ، وإنما يعاقب من اشتغل بوضع أسئلتها (من دخل فيما لا يعنيه لقي ما لا يرضيه).

إذاً من هم المجيبون؟

نعم.. إن الإجابة متوفرة لدى حَمَلَة الديانةِ السليمةِ من الآفات، إنها متوفرة في عمق الشعوب وداخل ضمائرهم الحية ..إن الإجابة لدى رجال النمط الأوسط أُمناء الديانة في كل مرحلة: ﴿فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ

﴿وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [الأنعام:٨٩]، إما بالصمت المطلق كموقف، أو الإفصاح المطلق كحجة.

لا أحد يتميز من الغيظ، ولا يتوتر من الانفعال، فالمسألة لا تصل إلى درجة الاحتواء ولا حب الامتلاك، ولا مصادرة الآراء، ولا تعطيل الحركة السائدة ، إذ لا علاقة لهؤلاء بما نحن عليه ولا بما نحن أيضاً سائرون إليه ، فزمام حركتنا جميعاً بيد سماسرة جحر الضب.

زمام حركتنا جميعاً بيد سماسرة جحر الضب

أما رجال النمط الأوسط ـ وهم قليل من قليل ـ فمهمتهم إنقاذ ما يمكن إنقاذه ، ولا مجال في المرحلة لأكثر من ذلك، والحريص الصادق يهمه قبل كل شيء أن ينقذ أهله وخاصة إذا تحقق مصدر الخطر والهلاك، ونحن ولله الحمد تحققنا يقينا أن مصدر هلاك آل البيت هو استتباع هذه الدعوات المسيسة ومصدر سلامتهم الالتزام بمنهج النمط الأوسط.

الحريص الصادق يهمه أن ينقذ أهله قبل كل شيء

كما تحققنا بيقين أن مصدر هلاك المسلمين هو تفرقهم إلى أحزاب مسيسة وجماعات متنافسة، وجمعيات وفئات متمرسة، يلهبها حماس المرحلة وتدمرها أخطاء الجهلة، ولست هنا بصدد إنقاذ الجميع لأن هذا لن يتأتى لي ولا لغيري ، وقد عاش من هذا النمط قبلي أئمة وأفراد ولم يتحقق لهم غير موتهم المحتَّم على مبادئ السلامة ، حيث لم ينقذوا أحداً من الطوفان إلا من أبى ، والذين يأبون السير مع الطوفان العارم هم أولئك الراغبون في السير على أطراف وحواشي الطريق، وهم قليل جداً ولكنهم هم البقية الباقية في مسيرة الطوفان الهالك.

طوفان حرب المياه ومعارك الذهب

أما سمعتم يا سادة عن طوفان حرب المياه ومعارك الذهب؟.. الطوفان العارم الذي «**يقتل من كل مائة**

تسعة وتسعون، ويقول كل رجل منهم: لعلي أكون أنا الذي أنجو»[1]، ولا نجاة.. لا نجاة لآل البيت، ولا نجاة لغيرهم.. ﴿تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ١١٨﴾[البقرة:١١٨]. لماذا؟ لأنَّ مُخرج الثقافة والتعليم مخرج قتال واقتتال وتنافس وحب امتلاك، فالكل في مرحلة الذهب وحرب المياه لا يفكرون بعقولهم ولا يؤمنون بقلوبهم، وإنما يوجههم إبليس الرجيم إلى حتفهم وتحمل مسؤولية دماء غيرهم ، ولأن الدجال المختبئ خلف جحره يهمه كثيراً أن يقدم القرابين تلو القرابين من دماء الشعوب المسيسة حتى يرضى عنه إلهه الشيطان.

يا آل البيت ماذا لديكم وماذا عندكم؟

يا آل البيت.. وخاصة من أبناء مدرسة حضرموت، ومدارس اليمن السعيد؛ آل البيت المنتمين للزيدية، وآل البيت المنتمين للمذهبية والصوفية، وآل البيت الخارجين عن المذهبية، وآل البيت الخارجين عن الصوفية، وآل البيت الراغبين في البدائل الجديدة المسوَّقة في ساحة العرض والطلب، وآل البيت الهائمين في برامج العلمانية والعلمنة والعولمة.. ماذا لديكم؟ وماذا عندكم؟

فالعلمانية ليست منهجكم وإنما هي منهج الغثاء المسيَّس، ومثلها برامج العلمنة التي تبناها القوميون والحزبيون بوعي أو بغيره، ومثلها البرامج العولمية التي دُسّ فيها التأسلم المسيس والاستسلام المدنس

---

(١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال: «لا تقوم الساعة حتى يحسر الفراتُ عن جبل من ذهب، يقتتل الناسُ عليه، فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون، ويقول كل رجل منهم: لعلي أكون أنا الذي أنجو» صحيح مسلم (٢٨٩٤)، وفي مسند أحمد : «يا بُني، فإن أدركته فلا تكونن ممن يقاتل عليه» (٨٣٨٨) .

..كلها لا تعيد للإسلام شرفاً ولا للمسلمين موقفاً مشرفاً ؛ لأنها محسوبة على المنهجية الغثائية وجزء لا يتجزأ منها، إلا أنها تحمل لغة الإسلام الممنهج والدين المدبلج مخرجاً في أفضل أساليب الإخراج المسرحي، بحيث لا نستطيع إغماض أعيننا دونه، ولا نملك إلا الإعجاب بمكنونه ومضمونه.. وهذا ما حدث فعلاً وإن كان العديد من الهواة والرواة والحواة لا يصدقون ما نقول، ولا يعترفون طبعاً بهذا المقول، لأن الظرف السائد يفرض عليهم غير هذا، وطموحهم المحقق للعوائد لا يؤيد إدانة المسخ ، ولا يفسح لذلك مجالاً ولا يُوَطِّن للاعتراض عليه وِهَادا، ولهم عذرهم ما دام الإعذار ممكنا، وما دام لهم في عالم الناس موقعاً مُعلَناً، والله أعلم بحالهم ومآلهم.

وهاكم يا جيلنا السائم الهائم ورعيلنا القادم حقائقَ الأئمة من ساداتنا آل البيت .. وهاكم شرف الإمامة العليا التي بلغها الرجال الأثبات معادلة لمرتبة الاجتهاد ومتفوقة عليه بشرف النسبة وعلو الرتبة المرتبطة بكرامة الله للمتقين في قوله: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾[الحُجُرات:١٣] فبالتقوى وبالمناقب حازوا الشرفين من حيثما كانت مذهبيتهم فإمامتهم معهم ومنهم وإليهم، فمنهم الأئمة في مذهب الإمامية والأئمة في الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية، والأئمة في المذهب الأول مذهب الزيدية، وحيث ما كان الأثبات كان الاستقرار والاستمرار والثبات.

حيثما كان الأثبات كان الاستقرار والثبات

مِفصلُ التَّحوُّل

الإمام المهاجر ما بين البصرة وحضرموت

منذ أن اختار الإمام المهاجر أحمد بن عيسى بن محمد بن علي العريضي الالتجاء والسكون في (مزرعته) النائية بمدينة البصرة من أرض العراق في القرن الرابع الهجري مدة عامين أو تزيد برزت حقيقة القراءة الواعية لدى الإمام لما يدور حوله من الأحداث ، وما يجب أن يتخذ حيالها من المواقف الشرعية التي تفرضها النصوص، وما يترتب على هذه القراءة من المواقف العملية الواعية التي (وضعت بصمة التميز) لمدرسة المهاجر، ولم أقل المهاجر وحده، وإنما مدرسته التاريخية وما ميزها به عما حوله من المواقف والتيارات والتوجهات المتصارعة.

إن المواقف والتيارات والتوجهات المتصارعة هي إفرازات مراحل ونتيجة حوادث عاشها المهاجر في العراق ثم في طريق رحلته حتى وجد مثلها في حضرموت، بينما الإمام المهاجر في قراره الجديد متصل بالأصل الشريف لذاته ولذوقه وعلمه وسنده الأصلي النبوي الذي ربط المواقف والتوجهات بالأخلاق والقيم بالأرومة المقيدة بنصوص من لا ينطق عن الهوى ﷺ عند احتدام الأمور وظهور العلامات.

فكم نسمع وكم نقرأ من ألسنة وأقلام ضحايا العصبيات والقوميات والعشائر والفئات والتيارات والأحزاب من يربط بين الأئمة الأثبات وبين صراع المذهبيين ، وتناحر الطائفيين، وضيق أُفُق القوميين، لأن الإمام أو العالم ينتمي إلى هذه الطائفة أو هو من هذه الأسرة أو من أتباع ذلك المذهب ، وكأن الالتزام

بهذه المواقف المتعصبة هو الدين كله، وهو مصدر السلامة والنجاة في الحياة الدنيا وفي الآخرة، مع أن هذه التعصبات المتنوعة هي إحدى مواد السلوك الجاهلي التي بترها الإسلام من صدور الآل والصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، ولم يبق منها إلا آثار لدى أفراد أو مفتونين، أو جهات مدانة في نصوص التحولات والفتن، وحاشا أن يكون المهاجر وأشباهه وأمثاله من هذه العقول الجاهلية.

فالمهاجر كما يفهمه أهل هذا المبدأ على مدى تاريخه (متقولبٌ في مذهب التسييس المتحول) ، بينما الحقيقة التاريخية وما ترتب عليها من مواقف عملية تثبت ارتباطه بمنهج الرسالة الأساس ، وهو القاسم المشترك، وعليه مدار الولاء والبراء ، وبهذا المنهج اعتزل الصراع الطائفي المتقولب في المرحلة واختار العزلة في مزرعته ليتوّج ذلك بالرحلة التاريخية عن بؤرة الصراع كلها، طلباً للسلامة، وحاملاً طوق النجاة لمن يفهم العلامة.

الرحلة التاريخية وأهدافها

كما رحل من قبل لذات الغرض (الإمام الحسن) صوب المدينة المنورة ليحفظ الديانة وأمانة الوراثة والعدالة من ثائرة المنافسة والتحريش في العراق ، وخاطبه المتعصبون وهو في طريقه إلى المدينة: (يا مذل المؤمنين)، فكان رد الإمام على العوام والطغام: (لست بمذل المؤمنين ولكني كرهت أن أقتلكم على الملك)[1] اهـ، وكما فعل الإمام الحسين في رحلته من أرض الحجاز إلى العراق ليجنب أرض الحرمين

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٣٧٣٥٧) بلفظ: «فلما قدم الحسن بن علي الكوفة قام إليه رجل منا يكنى أبا عامر فقال: السلام عليك يا مذل المؤمنين، فقال: لا تقل ذاك يا أبا عامر، ولكني كرهت أن أقتلهم طلبَ الملك أو على الملك»، وفي المستدرك للحاكم (٤٨١٢) بلفظ: «فلما قدم الحسن بن علي الكوفة قام إليه رجل منا يكنى أبا عامر سفيان بن الليل،

مغبة الذم والدم، واستحلال شرف وقداسة الحرم، لعلمه بما ورد في الحديث - «**يُستَحَلُّ الحرم برجل فقال الحسين لابن عباس : لا أريد أن أكون هو**»...

ما نطرحه هنا دراسة ما وراء النصوص

إنها مواقف مبنية على قراءة النصوص ـ وأكرر القول مرة ومرات ـ إنها مواقفُ وليست تعصباً على المفاهيم المتقولبة، ولا استتباعاً مستنسخاً لما يجري في المرحلة أو ما تستحسنه العقول المستغفلة، ولربما انتظر منا القراء نصوصاً ننقلها عن هذه المواقف حتى تصبح في نظرهم مادة للقبول والرد، والموافقة عليها أو النقض لما فيها، وسنفعل ذلك حيث يتناسب إيراد النصوص المثبتة ولكننا قد لا نعتمد في غالب ما نطرحه هنا إلاّ على (دراسة ما وراء النصوص) من المواقف العلمية والمواقف العملية، هي مادة طرحنا المتميز كتميز فقه التحولات ذاته.

والتَّمَيُّزُ فيما نحن بصدده ليس منقبةً أو فضيلةً نتفاخر بها على غيرنا ، وإنما هي آلية العمل الشرعي في فقهِ الركن الرابع من أركان الدين ، فقهِ الربط بين الديانة والتاريخ، الفقه الذي وعاه الإمام علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فعاصر به مراحل الخلافة مناصراً ومشيداً ثوابتَ الديانة وحفظ الأمانة مع غيره من إخوانه السابقين إلى الإسلام، وكان السبقُ موقفاً والاختلافُ في الرأي علةً، وانتصرت المواقف الأبوية على العلل النفسية، وهو عين فقه المواقف الذي وعاه الإمام الحسن بن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في أحرج ساعات الصراع

فقال: السلام عليك يا مذل المؤمنين، فقال الحسن رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «لا تقل ذاك يا أبا عامر، لم أذل المؤمنين، ولكني كرهت أن أقتلهم في طلب الملك».

بين فئتين عظيمتين من المسلمين، فاتخذ موقفاً وسطاً بين الموقفين، وهو ذاته الموقف الذي قرره الإمام الحسين عليه السلام ساعة المواجهة في كربلاء عندما تخاذل المحبون واستعدى البغاةُ المنافقون، ووضع الإمام الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شروط السلامة إما بالعودة إلى الحجاز، أو الخروج إلى ناحية أخرى، أو السماح له بالعبور إلى يزيد ومقابلته، فأبى المتعصبون إلا الاستسلام فكان الموقف الذي لا بد منه وهو الاستشهاد.

فقه المبررات والمغالطات هو الفقه الذي صنع مفاصل التحول

وهذا هو الفقه الذي صنع (مفاصل التحول) ولسنا بصدد غيره ، فهناك فقه آخر نهجه الطائفيون والحزبيون والمنافقون والسبئيون والخوارج ومن نحا نحوهم من البغاة والطغاة والمنتفعين والمندفعين ، واجتمعوا عليه وماتوا من أجله، وهو ما يعرف بـ(فقه الحوادث) و(فقه المبررات والمغالطات)، وهو الفقه الذي هرب من مجموعاته الإمام المهاجر في (مزرعته) ، وهاجر في الله عنهم وعن مبرراتهم ومغالطتهم المدللة بقلب مفاهيم النصوص وتسييس المنصوص، ولولا هذه المواقف العلمية العملية التي صنعها المهاجر برحلته وحققها بمواقفه لما عرفنا شرف الإمامة القائمة على الوسطية الشرعية والاعتدال الواعي، والتي نَعِمَ العالمُ بشرفها وأثرها وتأثيرها.

فالمستَنْسِخُون شخصيةَ الإمام المهاجر لمصالح أفكارهم المسيسة وكتلهم المتجانسة يحرصون على إلغاء دور المهاجر المتميز، وإغفال قراراته التاريخية، مقللين من شأنها ومن أهميتها لأنهم لا يرغبون فيما تجاوزه من الإفراط أو التفريط لدى المجموعات المتناحرة، فلم ينظروا في سر اعتزاله الواقع في (البصرة) إلا بمقدار فهمهم عن فقه الحوادث من ظواهر ثورة الزنج والصراع على السلطان والحكم، وبيع المرأة

بدينار، ولم يدققوا في (قرار الهجرة) بجملة من أهله وبني عمومته إلى أرض الحجاز ثم القرار الأهم والأعم بالهجرة إلى أقصى بلاد اليمن شرقاً إلى حضرموت، وحتى لدى استقراره في حضرموت تجاوز القارئون للتاريخ مواقف المهاجر العملية لبناء (قواعد التحول)، ونسجوا لها من الأدلة والتخيلات ما يقيدونه بداء الصراع الطائفي ومخرجات العلل المحشودة حقدا وبغضا ودموية (وكل إناء بالذي فيه ينضح).

دفاعنا عن المهاجر كدفاعنا عن آبائه وأجداده

إن دفاعنا عن إمامة المهاجر كدفاعنا عن إمامة آبائه وأجداده فالقوم من (آل البيت) كلهم رجال مواقف وليسوا عالة على ركام المتناحرين والساسة المتنافسين والأتباع الطامحين والطامعين في كل عصر وزمن ومرحلة (آل البيت) أكبر من ذلك وأشرف وآل البيت (سفن النجاة) بالنص الذي تؤكده المواقف.

أئمتنا من سادة الصلح وبقية السيف

وآل البيت هنا هم أئمتنا من سادة الصلح وبقية السيف في دائرة ساداتنا آل الكساء عليهم السلام، وآل البيت هم أيضاً في المعنى العام بنو هاشم وبنو عبد المطلب، وهم الذين فرض الله لهم في بيت مال المسلمين خمس الخمس، ومنعهم الصدقات، وهذا تعريف وتوصيف شرعي عملي يتعلق بالضمان الاقتصادي المشروع لمسمى آل البيت خصوصاً وعموماً. وقد ضاع هذا التعريف والتوصيف على أيدي الطغاة والبغاة وساسة المراحل المتقلبة والمتقولبة واشتغل الناس بعد حرمان آل البيت من حقوقهم بالطعن في أنسابهم والشك في عقائدهم من جهة، وأما من جهة أخرى استبسل آخرون في تسويق مبدأ محبتهم والولاء لهم حسب العرض والطلب الطائفي والعرقي التناحري، ولا زال مسلسل الإفك والتحريف يطور الإخراج ويتفنن في الأذى وكيل التهم والنقائض حتى بلغ إلى ما بلغ إليه من ظهور من يدعوا إلى نصرتهم

والقيام بحقوقهم ولكن بشرط الولاء لآلية المرحلة والبراء من ماضي التاريخ بين أهل البيت سادة الصلح ذراري الإمام الحسن وبقية السيف ذراري الإمام الحسين. ورفع شعارات الإفراط المعهودة الشعارات المفضية إلى الدموية ، وأخذ الشعوب المسلمة المعاصرة بإثم الملك العضوض في المراحل الغابرة، وقراءة مراحل الإسلام الشرعي بأنه باطل ، وترديد مقولة: (ما بني على باطل فهو باطل).

والأصل في المقولة يعود على القائلين بالبطلان نصاً وليس على المراحل المحصنة بالنص النبوي، لأن القارئين منهم بلغة البطلان لم يقرؤوا فقه التحولات ولم يدرسوا أركان الدين أربعة كما وردت في نص من لا ينطق عن الهوى ﷺ فصار الهوى منطقهم في التحولات وتفسيرها وتعليبها وتصنيفها ومخرجاتها، وتوقفت أفهامهم عند نصوص المناقب والفضائل، وهي جزء من مقامات مراتب الإحسان في السابقين، وتجاوزوا نصوص المراحل وفقه التحولات وهي أساس تفسير الحكم ومجرياته التاريخية سلباً وإيجاباً، ولهم العذر في عدم العلم.

ولا عذر لهم بعد ظهور هذا العلم وإسناده إلى المشرع الأول ﷺ، فاتباع الحق أولى من التعصب على حزم الباطل والله سبحانه يغفر للتائب من الذنب، وورد في الحديث: «**التائب من الذنب كمن لا ذنب له**»[1] وورد: «**رُفِعَ عن أمتي الخطأ والنسيان وما استُكرِهوا عليه**»[2] ، والدلالة الشرعية واضحة كل

الدلالة الشرعية واضحة كل الوضوح بما يجب فعله عند وقوع الأمة في الثلب واللعن لبعضها البعض

---

(١) سنن ابن ماجه (٤٢٥٠) .

(٢) سنن ابن ماجه عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وأوله : «**إن الله وضع عن أمتي ...**» .

الوضوح بما يجب فعله عند احتدام أمر الأمة وسقوطها في الثلب واللعن لبعضها البعض، حيث ورد في الحديث الذي رواه ابن ماجه: «**إذا لعن آخر هذه الأمة أولها فمن كتم حديثاً فقد كتم ما أنزل الله**»[1]، والذي أنزله الله في كتابه قِيَمٌ وأخْلاقٌ وتوجيهاتٌ تربويةٌ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١﴾ [الحُجُرات: ١١]، وأي ظلم أشدّ من تنابز المسلمين بالألقاب والطعن واللعن والهمز واللمز تحت شعار النصرة لآل البيت المظلومين لدى فريق، وتحت شعار الانتصار لكتاب الله وسنة رسوله لدى فريق آخر؟! وما آلت إليه هذه الشعارات المسيسة من احتدام واصطدام وطائفية وطبقية ومناكفات اعتقادية مدمرة بلغتْ أَوجَهَا في مرحلتنا المعاصرة، وازدادت لهيباً وسعاراً بازدياد وسائل الإعلام، وضعف مخرجات الديانة في أهل الدين والإسلام؟!

الإمام المهاجر وقواسمه المشتركة

وعود على بدء لما نحن بصدده عن الإمام المهاجر وقواسمه المشتركة مع آبائه وأسلافه الأئمة قواسم المواقف لدى مفاصل التحولات المرحلية، والتي صُنعت بها ضوابط السلامة في كافة مراحل الاحتدام ومراحل التغيير في عصر السلف.

فأما في مراحل الاحتدام فكانوا يعايشون الفرقاء بضابط الأخلاق النبوية والدفع بالتي هي أحسن، وهكذا فعل الإمام المهاجر.

---

(١) سنن ابن ماجه (٢٦٣).

آل البيت في المراحل المضطربة كانوا يبتعدون عن مسرح الأحداث ولا يشاركون في فتنة هذا الموقف الأول

وأما في مراحل في التغيير فكانوا يبتعدون تماماً عن مسرح الأحداث ولا يشاركون في فتنة ولا يؤيدون طرفاً على مثله، ولهذا هاجر الإمام المهاجر ، وكانت ثمرات هذه المواقف ما قد سقناه مثالاً سابقا لهذه الحالة ، ومنها مواقف الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1]، وموقف الإمام الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، والإمام علي زين العابدين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ والإمام جعفر الصادق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وولده الإمام محمد الباقر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وولده الإمام علي العريضي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، والإمام الفقيه المقدم محمد بن علي ، ومن نحا نحوهم في اختيار منهج السلامة والدفع بالتي هي أحسن.

وهناك موقف آخر يخرج من ذات المشكاة الأبوية النبوية المشار إليها سلفاً، إلا أنها مواقف اتخذت المواجهة والأخذ بالأسباب لمعالجة الاحتدام، وتصحيح مسار التغيير، ضابطها العدالة والسند والاجتهاد المشروع ، ومثالها الإمام الحسين، والإمام زيد بن علي، ومن نحا نحوهم من أئمة الخروج على الظالمين بضابط الاجتهاد المشروع وشروطه المشار إليها سلفاً.. وبالنظر في شروطها والنظر في ثمراتها ومصير أئمتها يتحدد التأييد لمواقف السلامة الأول.. مع الاعتراف بالموقف الثاني وعدالته في أهله ولا يتجاوزهم الأمر إلى غيرهم في الأزمنة والعصور ممن يجعل ذلك حجة للمشابهة لاختلاف الشروط وللتعارض مع النصوص، ولقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في الحديث: «**يكون بين ناس من أصحابي فتنة ، يغفرها الله لهم بصحبتهم إياي،**

(١) عندما يذكر الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حجةً في مواقف السـلامة فإنما يشـار بذلك إلى المرحلة الأولى من مراحل الخلافة بعد موت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وموافقة الإمام على بيعة الخلفاء، وعدم الوقوف بالسيف أو الخروج السياسي .

يستن بها قوم من بعدهم يدخلهم الله بها النار»[1] .

وهذه مسألة مهمة في (فقه التحولات) ربما جهلها الكثير من العلماء قبل الدهماء، حيث إن مسألة المشابهة لها شروط شرعية كما أن مطابقة الفعل في مسائل القتل والخروج والتعدي مربوط بالنصوص ومتعلقاتها، مهما كانت الظروف والأسباب المؤدية لذلك.

بحثنا لهذا المفصل مرتبط بفقه التحولات لا بفقه الأصول

إن موضوع بحثنا لهذا المفصل المسمى(مفصل التحول) يضع مسألة الدراسة مرتبطة بفقه التحولات، لا بالمألوف لدى الباحثين والمحللين والكتاب والمفكرين والفقهاء من ثمرات علوم الأصول وحدها، كما يفعلون ويستدلون، فالعلماء جزاهم الله عن الإسلام خيراً قد نزعوا بالتفسيرات العلمية في بعض الأحوال منزعاً ذاتياً يخرج بالنص عن موقع استدلاله، وتتابع المريدون وطلبة العلم من بعدهم على هذا النَّسَق دون استدراك، لأنهم لم يقفوا عند مفهوم الحديث الشريف المعروف بحديث (أم السنة) وقوفاً شاملاً ومتكاملاً، وانتقل هذا الأمر إلى الأزمنة والعصور اللاحقة كلها، مما أدى إلى الخلل في الربط بين تعليل التاريخ وحوادثه وبين النصوص الشرعية الضابطة لمجرياته، بل وقد يحصل التعليل خطأً في بعض مسائل العقيدة ومدلولات نصوصها ، وخذ مثلاً هاماً على ذلك:

نماذج الخلل العلمي في الربط بين التعليل والتاريخ والحوادث

مسألة ربط الساعة وعلاماتها بالركن الخامس من أركان الإيمان، وقولهم : إن علامات الساعة جزء من

(١) تفسير القرطبي (٧/ ٣٩١)، التذكرة للقرطبي (١/ ١١٠٦).

مسائل الإيمان، وتناولهم للعلامات والأشراط والفتن وما تلاها من مسميات هذا العلم بإجمال وتفصيل ضمن هذا الركن الإيماني الخاص موقعا وتفسيراً، والأصل في المسألة أن علامات الساعة والإيمان بها ينقسم إلى قسمين:

الأول: ما يخص الركن الخامس من أركان الإيمان وهو اليوم الآخر، واليوم الآخر يبدأ بالموت وما بعد ذلك من مسائل القبر وحقائق الحشر والنشر والخلود في الجنة أو في النار.

الثاني: ما يخص العلم بعلامات الساعة ، وهو ما يسبق الموت والآخرة ، وله ارتباط وثيق بقوله ﷺ في حديث جبريل عندما سأله وقال: فأخبِرني عن أماراتها قال: «**أن تلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان**»[1]. وهاتان العلامتان مخصصتان لتحولات الأزمنة والمراحل وما يعرف بالعلم بعلامات الساعة، وهذا العلم مستقل عن أركان الإيمان كلها فضلاً عن استقلاله عن الإيمان باليوم الآخر لأنه مرتبط بالركن الرابع من أركان الدين وجزء لا يتجزأ من حديث جبريل المعروف بأم السنة .. وهذا مجرد مثال فقط.

فقه التحولات ودوره الإيجابي في إعادة قراءة التاريخ

وأوردت هذا المثال هنا ليتأكد لدى الحريصين على منهج الرسالة المحمدية الشاملة أنّ فقه التحولات بعد استيعاب مسائله الشرعية يمكن به قراءة العلم الشرعي بمثل ما أوردناه في المثال الآنف ، كما سيقرأ به التاريخ الإسلامي الذي نعاني الآن جميعا من سلبيات الإفراط والتفريط في قراءته وتكتلات الأمة

(١) صحيح مسلم (٨).

الإسلامية ضمن مخرجاته السياسية والفكرية قراءةً أكثر اعتدالاً ووضوحاً ومصداقيةً تُبنى على قراءة النصوص النبوية الخاصة بالركن الرابع.. ركن (المتغيرات والحوادث ومسيرات التحوُّل في التاريخ) .

سواء كان في تناول التحولات التاريخية السياسية ومفاصلها المرحلية، أو كان في تناول المواقف العلمية والعملية لرجال النمط الأوسط عدول الأمة الذين حفظوا لنا وللأمة شرف الديانة ومرسوم الأمانة على مدى تاريخ التحولات في دنيا الزيف وتسويق الضمائر والقيم والمبادئ والديانات والمواقف.

لقد أرهقتنا المعروضات الفكرية في سوق العرض والطلب وتأكد لنا يقينا أنّ إبليس المطرود يعمل في هذه السوق الواسعة على جر الشعوب خلف الشعوب نحو الهلاك وسياسة الاستهلاك والانتهاك ، والناس دائما بفطرتهم يستجيبون، وقد يجيبون وقد لا يجيبون ، ولم نجد إجابة صحيحة على أسئلة الفطرة ولا أرقام الشفرة إلا في مكنونات علم من لا ينطق عن الهوى ﷺ. فهل بعد هذا العلم من علم؟ وهل بعد هذا الإيضاح من إيضاح؟

اللهم صلِّ وسلم على سيدنا محمد المأمون على العلم المضمون والفهم المكنون من سر الكاف والنون وعلى آله وصحبه وسلم ، وارزقنا اللهم نصيباً من سر قولك: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[يس:٨٢].

إن علاقةَ المواقف التي تحكم السلوك وتبلور طبيعة السلامة عند أهلها أساسٌ في دراسة فقه التحولات وقاعدةٌ من قواعده، وبها لا بغيرها نستقرئ آلية التوجه العلمي والعملي لدى إمامِنا المهاجرِ المتناولِ هنا

تحليلَ موضوعِ مواقفِه بعد عرضها على النص النبوي أو المرقومات الأبوية، وهذا من خصوصيات علمنا (آل البيت)[1] عند تجردنا عن الاستتباع والتزامنا بشرف الاتباع ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [يوسف:٢١].

وأنا هنا أكتب في حقيقة الأمر لذراري المهاجر ومن ارتبط بهم وصدق في تعلقه بحبهم وفهم دقائق مواقفهم، أما غير هؤلاء من حملة الأقلام وساسة الأفهام وعلماء النقد والتقييم للحرف والكلام فالأمر متروك لما يقذفه الله في قلوبهم، وما تكنه نفوسهم وتحويه صدورهم عند قراءتهم لما نحن بصدده، ومتابعتهم لما نؤصله من علم فقه شرعي متصل بمسنده وسنده.

ما كتبتُه خاص بذراري المهاجر والفقيه ومن ارتبط بهم عدالةً وسنداً

والمرحلة التي نعيشها تقتضي اتخاذ المواقف، وفتح مكنون المعارف، ليرتبط التليد بالطارف، حيث إن النقض والقبض كعلامة قد بلغ إلى كل شيء ولم يترك أي شيء ، واختلط الأمر على العلماء وحملة الأمانة قبل غيرهم، وذهب الكثير منهم خلف كل ناعق من نواعيق التمرحل والتحول والخيانة، منهم من فعل ذلك لفتنة أصابته، ومنهم من وقع في ذلك بجهل مركب أبلغه إلى التعصب في وصفه، أو فهمه، أو

(١) غالباً ما تثير هذه العبارة بعض القارئين، ولكن الحقيقة التي لا غبار عليها أن (أهل البيت) عند كمال استقامتهم وسيرهم في منهج النبوة وأخلاق الأبوة تبرز خصوصياتهم التي فطرهم الله عليها، شأنهم شأن العديد ممن وصفوا بخصوصيات أخرى كقول النبي ﷺ عن أهل اليمن في صحيح البخاري (٤٣٨٨): «**أتاكم أهل اليمن هم أرق أفئدة وألين قلوباً الإيمان يمان والحكمة يمانية**» وزاد مسلم (٥٢): «**والفِقهُ يَمان**». اهـ

بسبب نقله عن غيره، أو تأثره به، ونسأل الله السلامة من الحالين والصفتين، وأن يرزقنا التوفيق إلى الحق على التحقيق بمنه وفضله وكرمه اللهم آمين..

ومن مهمات حديثنا حول (مفصل التحول) النظر الواعي في (المواقف) المتَّخَذَة من الإمام المهاجر واستقراء المعاني المرادة من هذه المواقف، وقد أشار بعض المؤرخين إلى طرف من ذلك عندما استعرض الفارق النسبي بين البيئة العراقية وما فيها من شروط الاستقرار والاستثمار، والبيئة الحضرمية وما بها من العوز والفقر وقلة الإمكانيات والثمار، واختيار الإمام المهاجر النُّقْلة إلى وادي حضرموت مع تأهله علماً وعقلاً ومقاماً وحالاً ومالاً للنزول والسكن بجدارة في عواصم البلاد وحواضرها ، وهذا (موقف) كافٍ عند التأمل لما كان المهاجر يرجوه ويأمله ويرغب في ترسيخه بعيداً عن مواقع الحركة وضوضائية العواصم.

الإمام الحداد شاهد حال على مواقف جده المهاجر

وقد اهتدى الإمام الحداد رحمه الله تعالى إلى هذه المواقف الأبوية من سلوك جده المهاجر فوصفها في قصيدته الميمية بقوله:

تَحَامَى عَنِ الدُّنْيَا وَهَاجَرَ فَارّاً ... إِلَى اللهِ وَالأَحْدَاثُ ذَاتُ ضِرَامِ
مِنَ البَصْرَةِ الخَضْرَاءِ يَخْتَرِقُ القُرَى ... وَيُلْحِقُ أَغْوَاراً لَهَا بِأَكَامِ
إلى أَنْ أَتَى الوَادِي المُبَارَكَ فَارْتَضَى ... وَمَدَّ بِهِ أَطْنَابَهُ بِخِيَامِ
فَأَصْبَحَ فِيهِ ثَاوِياً مُتَوَطِّناً ... بِذُرِّيَّةٍ مَزْمُومَةٍ بِزِمَامِ

مِنَ الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَحُسْنِ شَمَائِل كِرَامِ السَّجَايَا أَرْدَفَتْ بِكِرَام
بِهِمْ أَصْبَحَ الوَادِي أَنِيساً وَعَامِراً أَمِيناً وَمَحْمِيّاً بِغَيْرِ حُسَام

ولم يقف الإمام الحداد في وصفه العادل لمواقف أسلافه عند المهاجر فحسب، بل تتبع سيرة الأبناء والأحفاد المقتدين بالهدي النبوي المتميز السائرين على منهج السلامة مرحلة بعد أخرى، مما يدل على التزامهم منهجاً واحداً لم يحد قيد أنملة عن طلب السلامة من كافة الوجوه، منصرفين من أولهم إلى آخرهم عن فضول الكلام، ومنازعة المخالفين من أهل الرؤى المناوئة والحكّام، قائمين بحق الشعوب وولاتهم فيما يجب فيه القيام من تعليم وإرشاد ونصيحة وبناء القيم والآداب التي هي أصل الإسلام والإيمان والإحسان في ربط الأمة بمواريث سيد الأنام ﷺ، ونشروا هذه الطريقة النبوية الأبوية في أصقاع الأرض حيثُ ما أخذت بهم الأسفار حتى صارت لهم طريقة معلومة، ومنهجية مرسومة، لا يحيد عنها إلا غافل أو جاهل، أو مستغفل أو متجاهل، أو من استحسن رأياً أو موقفاً مغايراً لموقفهم التاريخي.

وهم قليل من قليل، وخصوصاً في المراحل الإسلامية السابقة، وقبل مرحلة الغثاء والوهن.. أما بعد بروز النقض والقبض، وهيمنة الاستعمار ثم الاستثمار المعاصرة.

المستغفلون المخدوعون أصابهم داء الأمم

فالمستغفلون المخدوعون قومٌ كُثُر، أصابهم داء الأمم..قالوا: يا رسول الله وما داء الأمم؟ قال: «**البغضاء**

والحسد، لا أقول حالقة الشعر، ولكنها حالقة الدين»[1]. وها هو البغضاء والحسد المسيس ينخر جسد الإسلام كله وبأيدي جحافل المستغفلين بسلبيات[2] العلمانية والعلمنة والعولمة ولا حول ولا قوة إلا بالله.

نظرة السلف عالمية الأبعاد

لقد كانت نظرة السلف للأمور عالمية وواسعة الأبعاد ولذلك ظلت آثار مدرستهم ضاربة جذورها في الأرض. أما الجيل المستغفل فلا تتجاوز عقولهم وفهومهم نواعيق المرحلة التي يعيشون فيها، فالجيل الذي تأثر بمرحلة العلمانية نظر إلى السلف نظرة استحقار واشمئزاز إلا من رحم الله، والذين تأثروا بمرحلة العلمنة بذلوا جهداً جهيداً في قلع جذور مناهج آبائهم وأسلافهم مستسمنين ورم الثقافات ومظاهر الحضارات، والذين تأثروا بمرحلة العولمة نفضوا أيديهم عن الطريقة والمدرسة واتجهوا نحو الشعارات وبريق الدعايات والقرارات ، ولم يثبت على المنهج والخدمة سوى الموفقين القلائل ممن ارتبطوا بالأسانيد ورجال العدالة المخبتين ، ممن ينطبق عليهم المعنى الخاص في قوله تعالى: ﴿فَأْوُۥٓاْ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾ [الكهف:١٦]

الجيل المتقولب بمراحل التحول

(١) مسند أحمد (١٤١٢) ، أن رسول الله ﷺ قال : «دب إليكم داء الأمم قبلكم: الحسد، والبغضاء، والبغضاء هي: الحالقة، حالقة الدين لا حالقة الشعر ..» .

(٢) الاستغفال هنا استتباع برامج الكفر المطروح في ساحة الحركة لصرف أنظار الشعوب عن (عالمية الإسلام)، وأما مدلول العلمانية والعلمنة والعولمة كتعريف فقد عرفناه في كثير من المصنفات والمقالات، ولم يعد يخاف على أحد، ونحدده هنا بمخرجات العمل السياسي والثقافي والإعلامي المبرمج الذي يقود عملية التحولات المرحلية المعاصرة.

والحجة التي يتذرع بها الجميع دورنا في الحياة، وموقعنا من عجلة التطور والتغيير، وإلى متى ونحن نقبل الظلم والمهانة ونعيش على هامش الحياة ، وتمر أعمارنا وحياتنا بين الكتب الصفراء والألبسة الخضراء، ومحافل الزيارات والموالد والضيافات وتعظيم المشايخ الأحياء والأموات، في عصر أدينت فيه القواعد الصوفية، وَكُشِفَ قناعها ولم يعد لها من طالب ولا راغب ما سوى الجهلة والمجاذيب، والمأخوذين بالأمراض النفسية والمحبطين في رحلة الحياة وإلى هنا كفى..

الحجة التي يتذرع بها المناوئون للسلف

ولكن الحقيقة غير هذا الوصف المتناول، فالوصف المشار إليه حصيلة من مجموعات التراكم المسيس إبان مراحل التطبيع والتجويع والتشريك والتبديع، وثمرة من ثمراته سواء في الممارسين له والغارقين في ثمالاته، أو المنتقدين له والمعاصرين لأتباعه ومجموعاته، فالكل أمام الحقيقة المغيبة سواء، والكل يحتاج إلى وقفة إنقاذ وإعادة ترتيب.

الحقيقة شيء آخر: الجميع يحتاج وقفة إنقاذ ، وليس الصوفية وحدهم

بل الإسلام كله في مرحلتنا المعاصرة قد خرجت ثوابته عن منهجيتها السديدة، وخصوصاً في مواقع الحركة والتسييس الرسمية وشبه الرسمية، وبقي منه ما بقي مشوباً بالمتغيرات ومأسوراً في نقائضها ونواقضها، وما التصوف إلا جزئية متبقية من أجزاء الديانة الإسلامية، وهي ما تخص علوم الإحسان في صورته المحدودة اليوم. فإذا كانت أركان الديانة مضطربة التطبيق في عالمنا المعاصر فما الذي سيحصن (التصوف) من الوقوع في الإفراط والتفريط.

الإسلام كله قد ضعف .. وما التصوف إلا جزئية متبقية منه

والغريب أن الأمة الإسلامية شغلت نفسها في بعض الجوانب الرسمية والشعبية والفئوية والحزبية

بالتصوف والصوفية وكشف نقائضها وعيوبها وجنوحها، ولكنها وللأسف لم تكتشف الهوة السحيقة التي وقعت هي فيها كما وصفتها في واقع الأمر نصوص الشريعة التي أدانت الحكم والعلم قراراً واستقراراً وتعليماً وتربية وثقافة وإعلاماً واقتصاداً ، وخاصة في مواقع الاستتباع ومفاصل التسييس.

الهجمات على التصوف كانت تستهدف البتر والاجتثاث لا تصحيح الأخطاء والإفراطات

لقد كان سبب انشغال المتأخرين بنقائض الأولين هو تسييس الهجمة الإعلامية على نقائض التصوف والصوفية ، لا لغرض تصحيح الإفراط والتفريط، وإنما لأجل البتر والاجتثاث والإقصاء المتعمد القائم على هيمنة الجاه والمال والسلطان ، والسياسة المشتركة بين الشركاء الجدد وبين قوى التوسيد العالمية، القوى التي عرفت كيفية إدارة أسلوب الحركة بالتحريش بين المصلين ودعم مبدأ (فرق تسد) مبدأ الضدية، وهو المبدأ الذي هدم الأبنية التقليدية والأبنية الجديدة المعاصرة عن طريق التكتل والتحزب والتعصب وبث عوامل الصراع الطبقي والطائفي والقومي والعرقي والقبلي والسلالي والمناطقي والمذهبي وهلم جَرّا.. بدأً من أساليب التعليم الأساسي ونهاية بسياسة التنافس على الحكم والسلطان، ولا زال الشيطان والدجال وأتباعهم يطورون هذه الأساليب، ويحولونها مرحلة بعد أخرى إلى (قوة شعبية أو حزبية) لتزرع القلق في الواقع المتناقض وتزيد التحريش والإثارة في المجتمع المتباغض.

وقد شهدنا خلال المراحل المتلاحقة من عهد الاستعمار إلى عهد الاستثمار نماذج هذا الصراع وآثاره ونتائجه، ولازلنا نشهد إلى اليوم جديد الأساليب والأحابيل لإنجاح المشروع الشيطاني ذاته في أجيال الثقافات والإعلام وضحايا المدارس الحديثة المهزوزة.

أليست هذه محنة كبرى ومشكلة عظمى؟ ولكن من الذي يسمع ومن الذي يصدق في عصر قال فيه من لا ينطق عن الهوى ﷺ: **«يأتي على الناس الزمان يُكذَّب فيه الصادق، ويُصدَّق فيه الكاذب، ويُخوَّن فيه الأمين ، ويُؤتمن الخَؤون»**[1] .

(١) سنن ابن ماجه (٤٠٣٦) ، المستدرك على الصحيحين (٨٤٣٩) وأوله :«يأتي على الناس زمان سَنوات خَدَّاعَاتُ ، يصدق فيها الكاذب ..» .

سلفنا الصالح الأكابر بين علم الصدور ومعلومات السطور

مواقف السلف لا تقوم على الجهل والعواطف المجردة

لم يكن سلوك أسلافنا الصالحين بحضرموت قائماً على الجهل والعواطف المجردة النابعة غالباً من آثار التحول والتغير الاجتماعي، وإنما كان سلوكهم ومواقفهم قائماً ومبنياً على استقراء النصوص الشرعية والربط بينها وبين الواقع المعاش، بدءًا بموقف إمام مدرستنا الشرعية الإمام أحمد المهاجر ومروراً بإمام طريقتنا الذوقية الأستاذ الأعظم الفقيه المقدم، ومن جاء من بعده من شيوخ المهيع وسادة الطريق.

كل هؤلاء اتخذوا مواقفهم العلمية والعملية على بصيرة وهدى، قرؤوا التاريخ بضوابط النص النبوي، وتجاوزوا عواطفهم نحو الحوادث والمتغيرات.. فكان لهم حسن الاقتداء والاهتداء بجدِّهم الإمام علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. والاقتداء بالإمام الحسن وبالإمام الحسين ، وبالإمام علي زين العابدين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.. ورجحوا في مسيرة حياتهم ميزان العقل والعدل، واختاروا لأنفسهم وأتباع مدرستهم مخالفة النفس والهوى والدنيا والشيطان، واحتقروا القرار القائم على الإفك والحيلة والتجسس والتربص والاستعلاء، ونزعوا عنه إلى السلامة في الدارين، والسلامة في الدارين قائمة على حفظ اللسان من الذم واليد من الدم، مع حسن الاتباع لأوامر الديانة بالقدم والقلم والفم...

قامت بمواقف الأئمة حجة السلامة

وقامت بمواقف الأئمة حجة السلامة، كما قامت بمواقف الأئمة الخارجين على الظلم واستشهادهم في سبيل ذلك حجة الله في عباده التي لا بد من القيام بها، ورجح ميزان السلامة بما تحقق على يد أصحابه

من حفظ الميراث النبوي كتابا وسنة وقيماً وآداباً، وبقيت حجة الخارجين مدرسة اتعاظ واعتبار وادكار يتميز بها الحق المغلوب عن الظلم الغالب في معركة السلطان على الدنيا.. أما في الجدارة بالآخرة فكان السلف الصالح جديرين بها وظلوا يوصون الأبناء والأحفاد الالتزام بعلم الصدور والابتعاد الكلي عن متاع الغرور، وكتبهم ومقالاتهم شاهدة على صدق أحوالهم يتجنبون الخوض في فضول الكلام، ويتجاوزون الوقائع التاريخية المثيرة للآلام، ويقفون إجلالاً لما جاء عن خير الأنام، ويعلمون أن القدر والقضاء ماض بأمر الله، وأن النظر في معايب البغاة المُفْرطين والمُفَرطين اشغال لا يعود بعائد ايجابي في الحياة ، فعلموا الحقيقة وصانوا ألسنتهم وقلوبهم عن تلويثها بما لا يفيد ، وأَفَادوا العالم كله بِنَفسٍ صوفي سديد : قيام بالواجب المشروع وحسن اقتداء بالسيد المتبوع، وصرف نظر عن الإفك التاريخي المصنوع.

المناظر التافهة في عيون السلف

أتفه منظور في أعينهم الخاشعة كرسيّ قرار مهزوز، وأحقر مذكور في مجالسهم النيرة صراع النفوس على المال والكنوز ، قال فيهم القائل:

مُلُـوكٌ علـى التَّحْقِيـقِ لَيْـسَ لِغَيْرِهِمْ   مِـنَ المُلْـكِ إِلَّا رَسْـمُهُ وَعِقَابُـهُ

هؤلاء هم السادة القادة

هؤلاء هم السادة القادة.. أما نحن وأشباهنا فضحايا مراحل يجب أن نخرج من دائرة التلاوم وتبادل التهمات إلى اليقظة الصحيحة وحسن النظر في عيوبنا المدمرة وهزائمنا المتكررة فلعل وعسى.

فهجرة المهاجر مدرسة شرعية تستحق النظر وحسن الاقتداء وطريقة الفقيه مبدأ ذوقي شرعي يستحق التأمل والاحتذاء.

قاسمنا المشترك وعين المعترك هو الوعي في مواقف الرجال

ولا اقتداء ولا احتذاء إلا بوعي وحسن نظر في (مواقف الرجال)، وهم الذين يعنيهم قول الله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ [الأنعام:٩٠] وهذا هو قاسمنا المشترك وعين المعترك..

وبمقدار اهتمامنا المنهجي لإعادة ترتيب الوعي القائم على قراءة الشرع الحنيف، وتتبع ثوابت السلف الصالح دون شطط ولا تحريف.. يتحقق المعنى القرآني القائل: ﴿وَٱلۡبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخۡرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ﴾ [الأعراف:٥٨]. وإذا ما أدركنا ذلك وعملنا على تحقيقه، انفتحت لنا أبواب المعرفة والاستفادة من كل جديد مفيد، ووضعنا أيدينا في أيدي الحائرين من أمة الإسلام الغارقين في صراع المذهبية والطائفية والطبقية وما دونها من الأمراض والأغراض والأعراض الناخرة صلب علاقة الأمة الإسلامية قمة وقاعدة.. فهل من مستفيد؟

﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ٩٠﴾ [الأنعام:٩٠].

نحن الأحفاد.. بين الجهل بمفاهيم المدرسة والإهمال لثوابت الطريقة

باعث التأليف: معاناة المدرسة التي مضت، ومعايشتنا لخلفائها

لقد كان الباعث الأول لكتابة هذا الموضوع هي المعاناة لواقع المدرسة في تاريخها المرقوم ، وكذا المعاصرة لحقائق شرف الطريقة في ممارساتنا مع خلفاء ووراث القوم .

ومقصودنا من هذه العبارة أن معاناتنا الدؤوبة في مراحل حياتنا القرائية بدءًا بالدراسات الأبوية التقليدية والدراسات المنهجية الأكاديمية، والمطالعات والمناقشات المعرفية الميدانية مع الأشباه والأمثال على مدى الزمن التاريخي الثلاثي ، الذي عشناه خلال مرحلة الاستعمار ، وهي المرحلة التي ولدنا فيها، وعشنا شبابنا خلال شطر من معاصرتها ومعاصرة ثمراتها في الواقع التعليمي والثقافي والاجتماعي، وشهدنا ظلالها مع ما أبقته المرحلة من شرف العلاقة بالمدرسة كذكريات وبين الطريقة كممارسة في بعض العادات ومظاهر المآثر والزيارات، وقليل دروس العلم والحلقات جنباً إلى جنب ، من الحرب المعلنة والمبطنة ضد مدرستنا وطريقتنا التقليدية في قمة وقاعدة الهياكل الرسمية وشبه الرسمية، إضافة إلى العجز الواضح، والتداعي الفاضح، في الأبناء والأحفاد أن يلتزموا الولاء المطلق، والانتماء الأوثق، بتاريخهم الأبوي نتيجة التأثير المادي والفكري والإعلامي والثقافي الداعي إلى الجديد والتجديد، ولتدخل عناصر السياسة الخارجية والداخلية الموجهة في نقض وفكِّ ما أبقاه السلف من وسائل التعليم الشرعي الأبوي، وتحجيم النقائص والنواقض التي يمارسها أتباع الطريقة وعوام الناس في مجموع عاداتهم وتقاليدهم على

مدى مرحلة الاستعمار حتى مرحلة الثورة ثم مرحلة الاستقلال .

وبين هاتين المرحلتين الثورة والاستقلال عاشت البلاد برزخاً فاصلاً بين الأساليب الاستعمارية ووسائلها في النقض والقبض ، وبين المرحلة الاستهتارية مرحلة الثورات والاستقلال وما تلاها من الانتفاضات والتحديات والممارسات العشوائية ، التي كانت مدرستنا وطريقتنا الأبوية فيها جزءاً من البرنامج المستهدف محاربته وإزالته وتقويض ما تبقى من أركانه ومظاهره ، إلى جانب أهداف سياسية أخرى.

وكنا في هذه المرحلة الاستهتارية على غاية من الاندفاع الطبعي نحو التغيير الذي لا نعرف هدفه ولا دوافعه، ولا عناصر استثماره، وإنما كنا نعيش مرحلة التطبيل لما يشاع عن الظلم والإقطاع والرأسمالية والإمبريالية، تبعاً للثورة الإعلامية في اليمن ومصر وأصدائها القومية والإقليمية والمحلية، وكانت العقول متشبعة بالتغيير كضرورة ومتشعبة الولاء بين المدرسة والطريقة التقليدية من جهة والحياة الحضارية المتحركة إلى المجهول من جهة أخرى، ولكن غالب ذلك في علاقتنا القلقة بالشخوص المتحركة على مستوى السلطات والشخوص الساكنة في مستوى الحياة التقليدية من آبائنا وأتباع طريقتنا ومحيط المعجبين بالدعوة إلى الله، والمشاركة فيها إلى جانب حامل رايتها التقليدية في محيطنا المحدود وَالِدُنَا المتحملُ ثقلَ مسؤولية التاريخ ومعالجة مسؤولية التجديد نحو المستقبل.

وشهدنا سبل التحول ومتناقضاته المضحكة المبكية بدءا من إلزامنا بتغيير الملابس التقليدية في مواقع العمل إلى القميص والبنطلون وكشف الرأس، ونهاية بالنقاشات الحادة عن الصلاة والصوم والعبادات

مرحلة الاستعمار ثم الثورة والاسقلال بينهما عاشت البلاد برزخاً وكانت مدرستنا جزءاً من البرنامج المستهدف

كنا نعيش أجواء التغيير للظلم : الإقطاع والإمبريالية تبعا للثورة الإعلامية في مصر واليمن

وحتى علاقتنا بالله وتوحيده.

وشهدنا بأم أعيننا خلال مرحلة الاستهتار وما حملته الكلمة بأقصى معانيها سواء الاستهتار بالقيم، أو الاستهتار بالإنسان، أو الاستهتار بالمرأة أو بكل شيء قديم وشريف.

أصوات المسيرات ومحاكمة رموز الماضي والمبادرات الشعبية كانت تصرف الناس عن صوت الحق

وكانت الأبواق تصم الأذان وتصرف الناس عن صوت الحق والعبادة والأذان بأصوات المسيرات والكلام عن المنجزات ومحاكمة رموز الماضي وبيادقه ، حتى كانت المبادرات الشعبية التي ندعى إليها للمساهمة في الإنتاج ورفع مقدراته كما يقولون يوم الجمعة من وقت الصباح إلى العصر بحيث تفوت على المشاركين صلاة الجمعة عمداً وقصدا، ومع هذا وذاك نسمع حزم السخرية في مواقع المبادرات من رموز السياسة عن الدين والعلم الشرعي، وعن الصلاة والعبادة التي أجبرنا على التخلي عن أدائها في مواقعها الشرعية ، ولم نعد نتذكر الطريقة ولا المدرسة ولا منهج السلف، فالأمر قد خرج من مستوى الاعتراف بالمدرسة والطريقة في حضرموت إلى مساحة أكبر من ذلك وأعظم .. إنه الدين والتوحيد كله.

فمرحلة الاستهتار كانت مرحلة إلحاد وشيوعية ، وبلغت عناصر وكوادر المادية الديالكتيكية إلى القرى والأرياف، وكانت لي مقابلات ومواجهات مع جملة من هذه الكوادر الملحدة على نموذجين:

- كوادر معلمنة من أبناء أوطاننا الذين مسختهم المرحلة
- كوادر علمانية من مبعوثي الألمان الشرقية وروسيا البلشفية على صفة المترجمين أو المستشارين.

وليس هنا موضع التناول لهذه المواجهات والمقابلات ، وإنما هنا أشير إلى وجودها واستشرائها في

ثم جاءت مرحلة الاستثمار، وانشغلنا بترك الحكم الشمولي إلى التعددي، وظهرت الحزبية الإسلامية وجعلت الحرب ضد المدرسة المذهبية جزءاً من برنامجها الإعلامي والفكري

تلك المرحلة وقوة تأثيرها في العمال والموظفين والعوام والمثقفين ، الذين لا يمتلكون هوية ولا انتماء ولا حقيقة ولاء، بل ولاؤهم لمصدر رزقهم ومرتباتهم، ومصدر الرزق بأيدي المنظومة السياسية الملحدة.

ومرت المرحلة بظلالها ثقيلة وقاتمة ليتكون بين المرحلتين الاستهتار ، ومر حلة الاستثمار برزخٌ جديدٌ يفصل بين مرحلة الشيوعية الإلحادية، ومرحلة الاستثمار التوليفية شغلت الناس فيه بقضايا الوحدة بين الشطرين والخروج من دائرة الحكم الشمولي إلى الحكم التعددي، وبرزت فيه مجموعات القوى الإسلامية ذات الارتباط بالحزبية السياسية المدعومة إقليمياً وعالمياً، وجعلت جزءاً من حملتها الفكرية وهدفاً من أهداف التغيير إلى الأفضل واستمرار الحرب الإعلامية والكلامية ضد المدرسة المذهبية والصوفية وآل البيت، وإشغال الجل الأوسع من الإسلاميين الجدد بهذه الحملات وتعدد صورها ونماذجها وأساليبها وشخوصها وولاءاتها الفكرية ، حتى بلغت في أوج حملتها الفكرية إلى هجمات الإسلاميين على (القبور والقباب والضرائح وتهديمها وحرق ما بقي من عظام الموتى، ونبش بعض القبور والعبث بمحتويات المساجد التي بها مدافن للصالحين وتكسير جدرانها وحرق مصاحفها الخ.

وكما ذكرت سلفاً أنني هنا لن أستطيع التوثيق لأدق التفاصيل الكبيرة أو الصغيرة، ولكن هنا بصدد التذكير للجيل الذي يقرأ كتاباتي في نهاية عصر الاستثمار، وخصوصاً من أبناء مدرستنا وطريقتنا المرتبطة تاريخياً بالإسلام كله، وأن ما يشهده الجيل اليوم من شعارات ودعوات ودعايات نسخة مكررة لمخرج واحد، وإنما الجديد في الجمهور وفي الممثلين للمسرح المتحول فقط، هذا إذا كان الجيل الذي أخاطبه

ممن يفقه ويفهم، وأما الجيل الذي أصابه داء الأمم فثقيل عليه أن يفقه أو أن يفهم، ولكني أتركه للمراحل القادمة بعد أن يفرغ ذهنه من دعايات المرحلة وسياسات التحول، ويبلغ إلى سن معينة كما بلغت وبلغ أشباهي وأمثالي فعرفنا الحقيقة وأدركناها وسمحت لنا الأسباب والظروف أن نتخذ منها موقفاً ونعلن وجهة نظرنا بما نكتبه ونوثقه طلباً للثواب، ورغبة في قول كلمة الحق عن السلطان الجائر، فهي كما ورد في الحديث: «**أفضل الجهاد**»[(1)].

ولعل رسالتي هذه أكتبها في الشطر الأخير من مرحلة الاستثمار ، وقد بدأ الربيع العربي كما تسميه عناصر التسييس، أو مرحلة الفوضى الخلاقة كما تسميها عناصر الاستثمار، والشعوب على أبواب مرحلة الاستنفار التي تحمل شقين متضادين:

ولعلنا الآن ـ وقد بدأ ما سموه بالربيع العربي ـ في آخر مرحلة الاستثمار

- شق سلبي أساسه إشاعة الذم وإسالة الدم .
- شق إيجابي وأساسه التهيئة الربانية لإنقاذ ما يمكن إنقاذه.

ولا يمكنني إلا أن أسأل القارئ المستبصر أين تريد أن تكون؟

فالشق السلبي شهي الطعم والمشاركة والدعاية والطموح. والشق الإيجابي مرير الطعم ثقيل الحركة لا يدركه إلاّ الأفراد ممن أماتوا طموح الحكم والسلطان ، وحملوا على أعناقهم محاربة النفس والهوى والدنيا والشيطان.

---

(١) مسند أحمد (١١١٤٣) ، ونصه : «**ألا إنَّ أفضلَ الجِهادِ كلِمةُ حَقٍّ عندَ سُلطانٍ جَائر**» ، .

أهداف مدرستنا

ومدرستنا وطريقتنا واحدة من عناصر الشق الإيجابي لمن فهم أهدافها ووظائفها، وتحرر من أنانية الطبع، وعقدة الاستتباع ، وأهم أهدافها:

- العلم بشروطه
- العمل بوظائفه
- الإخلاص بثوابته
- الورع بأحكامه
- الخوف من الله بضوابطه

وبتحقيق هذه الأهداف تبرز فوائد منهج الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة في قمة المجتمع وقاعدته تحت شعار «**لا ضَرَرَ ولا ضِرَار**»[1]، ولا إفراط ولا تفريط، «**والخلقُ كُلُهُم عِيَالُ الله ، وأحَبُّ الخَلقِ إلى اللَّهِ أنفعُهُم لِعِيالِه**»[2].

(١) مسند أحمد (٢٨٦٥) ، سنن ابن ماجه (٢٣٤١) .

(٢) المعجم الكبير للطبراني (١٠٠٣٣).

وإنَّ غداً لناظره قريب

ثوابت طريقتنا لا يخرج عنها إلا ثلاثة أصناف: طامح ومدافع ومفتون

من ثوابت طريقتنا عدم المشاركة في تحولات المراحل، وعدم التفاعل مع التطورات السياسية وأربابها، وأصل هذا الموقف دراسة النصوص النبوية عن الفتن والتحولات، ولا علاقة لها بالشجاعة والجبن، كما أنها طريقة متبعة لدى أئمة الدين منذ عهد النبوة، ولا يخرج عنها إلا:

- طامح في سلطة أخذت به الدنيا وغفلتها مع من أخذت.
- مدافع عن حق اكتسبه بحق أو باطل ولم يدرك إيثار الأمر طلباً لما عند الله.
- مفتون مستغفل قصر باعه في العلم الشرعي بالتحولات واستفزه الطبع النفسي.

ومو قعنا عند التحولات إعطاء كل ذي حقٍ حقه بالنصيحة وسلامة الخدمة، ومساعدة كل من يستحق المساعدة، ونصرة المظلوم والأخذ على يد الظالم، والمشاركة الفعلية في تنمية الشعوب والأخذ بيدها إلى ما فيه استقرارها المنشود دون الوقوع في حرام أو شبهة أو مخالفة.

ضوابط الطريقة العلمية والعملية

وكل هذه الشروط لها ضوابطها العلمية والعملية وأهمها:

- أننا لا ندعو لحمل السلاح، ولا المشاركة مع حامليه أياً كانوا في عالمنا المعاصر.
- أن لا نشيع في الناس أو مع الناس فتنة اللسان بالذم، ولا فتنة الاصطدام والحروب بإسالة الدم.
- ندعو جميع الأشتات والفرقاء إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة تحت القاعدة الشرعية: ﴿فَإِذَا

ﭐلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴾[فُصِّلَت: ٣٤].

- لا نقف مع حاكم في صراعه مع أشباهه وأمثاله على كرسي الحكم، ولا ننصر جماعة أو فئة تتطلع لامتلاكه والسيطرة عليه.
- ندعو الجميع حاكماً ومحكوماً لتقوى الله والموت على سلامة وحسن خاتمة ونأمر بالمعروف وننهى عن المنكر وفق القدرات المتاحة.
- لا نشارك في حزبية ولا ندعو إليها، ولا نعتبرها حلاً في إصلاح الواقع، بل هي جزء من الأزمة المسيسة في واقع الأمة المعاصرة، ونحترم الأفراد والعلماء والعقلاء ضمن الأحزاب والجماعات، ونشاورهم في مصلحة الأمة وسلامة الديانة وإقامة شروط الأمانة ﴿وَلِكُلّٖ وِجۡهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ .
- لا نُسقط فرضية الجهاد في سبيل الله ولا ننفي وجوده في عالمنا المعاصر، ولكننا لا نشارك مجموعاته الحزبية المتكتلة ، ونؤمن بأهميته وضرورته للحصول على الحق المسلوب، ولأنه وعدٌ استباقي قال عنه ﷺ : «**الجِهادُ ماضٍ مُنذُ بَعثني اللهُ إلى أن تقاتلُ آخِرُ أمّتي الدَّجالَ، لا يُبطِلُهُ جَورُ جَائرٍ ، ولا عَدلُ عادلٍ**»[1]، ولكن بالصفة التي تناولتها النصوص لا بصفتها المسيَّسة في الانقسامات والمسميات الحزبية على الخصوص .

لا بد لجيلنا أن يرضخوا إشكالاتهم لعلم فقه التحولات

ويضاف على ما سبقت الإشارة إليه ضرورة حث جيلنا المعاصر من أتباع هذه المدرسة والطريقة أن يرضخوا

(١) سنن أبي داود (٢٥٣٢) .

كافة ما يطرأ على عقولهم من إشكالات ونقائض على علم فقه التحولات ، بعد دراسته والاطلاع عليه مرتبطاً بالعلوم الثوابت، ففيه ـ بعد دراسة ـ حلولٌ عمليةٌ لما تبثه المنافيخ المسيسة والعقول الدجالية المتربصة، ومعالجة حسنة لأطراف الاندفاع بين الغلو والجفاء لدى جميع الفئات المتنوعة، سواء من (المدارس التقليدية كالمذهبية والصوفية والعلاقة بآل البيت)، أو من مدارس الحزبية الإسلامية، أو السياسية القومية أو الأممية، أو غير ذلك ممن يُنَشَّؤُون من بين ثنايا ومفاصل التحولات المرحلية من جيل إلى آخر.

فالإجابة السديدة كامنة في هذه الدراسة لا غيرها، وأؤكد على هذا الأمر وأجزم به، ومن لم يفهم المقصود من هذا البيان فلا بد أن يقع فريسة المدارس الأنوية وشبه الأنوية ذات العلاقة المباشرة وغير المباشرة بفتنة المسيخ الدجال الموعودة.

أيها الجيل
إنني أعيدكم
إلى النصوص
النبوية في فقه
التحولات

أيها الجيل المشرَّف بالنِّسبة الطاهرة أو من ارتبط بهم منهجاً ومحبة وعلاقة أعيدكم إلى نصِّ النبي محمد ﷺ في فقه التحولات، حرصاً على سلامة أهدافكم وديانتكم وعلاقتكم بأسلافكم، فهو خير لكم من أفكار الجماعات والجمعيات والأحزاب والأنظمة ومخرجاتها الإعلامية والأقلامية والأفلامية وتخبطاتها السياسية والمسيسة، فالسند المتصل في فقه التحولات المرتبط بعلم أركان الدين الأربعة يربطكم بمن لا ينطق عن الهوى ﷺ، والسند المتصل في فتنة المسيخ الدجال وأحابيله الفكرية يربطكم بالثلاثي المدمر الشيطان والدجال والكفر، ولم يحذرنا الحق سبحانه من شيء في نصوص القرآن وسنة النبي محمد ﷺ أكثر من تحذيره لنا من هذا الثلاثي الهالك.

إنكم تعيشون عصور ثقافة لا عصور ديانة.. الثقافة غير الموجهة.. الثقافة الثالثة.. خليط يجمع بين الحسن والقبيح في ثقافات الشعوب

إنكم تعيشون اليوم وغداً عصور ثقافة وليست عصور ديانة، بدءاً من مناهج المدارس الرسمية وشبه الرسمية ونهاية بمخرجات الإعلام، ونحن ندعوكم هنا إلى المزج الواعي بين أصول الديانة الشرعية والثقافة الموجهة الوضعية، لأن الثقافة غير الموجهة أو ما تعرف بالثقافة الثالثة هي خليط مطلق يجمع بين الحسن والقبيح في ثقافات الشعوب، وهذا أمر يتعارض مع ديانتنا الشرعية وثوابتنا المرعية، ولكن مدارسنا المعاصرة في أنظمة الأمة الجائرة استوعبت الثقافات المطلقة وقبلت التفاعل معها والتداخل مع أربابها وأساطينها، فجاءت النتائج كما نشهدها اليوم وما سنشهده في الغد في عواصم البلاد الإسلامية ومخرجاتها الفكرية والسياسية والاقتصادية والثقافية والإعلامية، بل وحتى المخرجات الدينية الشرعية في بعض البلاد المتمسكة رسمياً بالشريعة، فاللغة الرسمية المتداولة عند التمحيص والبيان غير اللغة الشعبية المتنامية.

ونحن في أطروحاتنا المرتبطة بالرباعية الشرعية في أركان الدين لا علاقة لنا باللغة الرسمية إلا من حيثيات محدودة، ولكن علاقتنا الفعلية الثابتة إنما هي بالشعوب وهدايتها، وحسن معالجتها ونصحها وتوجيهها كي تعلم الحق وتتبعه بعيداً عن مناكفات ومكايدات السياسة والتسييس.

ولا شك أن هذا التوضيح يثير الثلاثي الهاتك، الثلاثي المدمر للشعوب، ويرفع من مرارة قلقه على مشروع الاحتناك المحلي والإقليمي والعالمي، ولكن الله سبحانه وتعالى أمرنا بالإيضاح والبيان ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾[الأنفال:٤٢]، ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾[المؤمنون: ٩٧-٩٨].

ضوابط العالمية في مدرسة حضرموت

تعريف العالمية

يقصد بالعالمية في تعريفها الشرعي الالتزام التام بمبدأ الآية الشرعية من قوله: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ﴾[الأنعام:٨٩]، والمعنى المشار إليه هنا بالعالمية صفات العمل والتحلي بما تحلى به ﷺ من القول والفعل والتقرير والمواقف والدلالات[1] وما دعا إليه من شرط الالتزام بها في العلاقات والمعاملات بعد العمل بها في القيام بحقوق العبادات والطاعات، مجتمعة لا متفرقة وإلى ذلك تشير الآية الكريمة من قوله تعالى تكميلا لما سبق: ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾[الأنعام:٨٩].

النبي ﷺ هو الشخصية العالمية

وبهذا المعنى تعرف العالمية في الإسلام، وتعرف أيضاً شخصية النبي ﷺ بأنها الشخصية العالمية بالجدارة والنص، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾[الأنبياء:١٠٧]، فقوله: ﴿أَرْسَلْنَاكَ﴾ تكليف بأمور الرسالة، وقوله: ﴿إِلَّا رَحْمَةً﴾ ربط تطبيق الرسالة بالأخلاق، وقوله: ﴿لِّلْعَالَمِينَ﴾ لكافة المخلوقات من غير استثناء، وهذه أعلى صفات العالمية الممنوحة له ﷺ من عند الله، ويأتي تطبيق معنى العالمية لدى الأمة الإسلامية بعد ذلك مقروناً بثوابتها الشرعية، كُلٌ حيث يضعه الله في

(١) هذا التعليل الجامع لرباعية الأركان الشرعية، فالسنة القولية والفعلية والتقريرية هي ما أقرها علماء الأصول كمصدر تشريع للثوابت الثلاثة، أما سنة المواقف والدلالة فهي ما يتعلق بالركن الرابع المسكوت عنه وأصل مشروعيته في دراسة فقه المتغيرات وتجديد لغة الدعوة إلى الله.

إذا انعدمت العالمية الشرعية برزت مسميات الملك العضوض والغثاء والوهن

مرتبة التطبيق والممارسة.

فقد تجتمع العالمية الشرعية في قراري الحكم والعلم، وقد تنفصم عن أحدهما دون الآخر، وقد تنعدم من القرارين تماماً، وإذا ما انعدمت (العالمية الشرعية) عن القرارين فهناك تعاريف أخرى تستوعب موقع قرار الحكم والعلم كبديل حتمي لا محيد عنه ولا مناص، ومنها تعريف الملك العضوض، والغثاء، والوهن، والتوسيد، وضياع الأمانة، والتحريش، والمنافسة، والتداعي، إلخ التعريفات الشرعية المفضية إلى زوال وخلخلة مبدأ العالمية الشرعية.

ويصعب على المسلم التعرف على هذه التعليلات الشرعية ما دام يقرأ الدين منفصماً عن وحدته الموضوعية، إذ لا مجال لقراءة التعريفات النبوية الشرعية المرتبطة بفقه التحولات والأزمنة والفتن المضلة إلاّ بدراسة العلم بعلامات الساعة، وفقهها المعروف بفقه التحولات أو فقه المتغيرات، ولا مجال هنا للاستكبار الذي يغلب النفوس فتأتي القراءة النصية الرباعية تبعاً للمألوف لدى علماء الأصول، فالحق أحق أن يتبع، والحق الذي يجب أن يتبع هو دراسة الأركان الأربعة مجتمعة لا متفرقة، بدءًا بالثوابت ونهاية بالمتغيرات، وبها تتحقق القراءة العالمية لديانة الإسلام.

التابعون بإحسان وأهميتهم

مواقف الأئمة الأطهار والصحابة والتابعين لهم بإحسان

كما تتحقق بعد ذلك للباحث والعالم مواقف الأئمة الأطهار، ومواقف الصحابة الأبرار والتابعين وتابع التابعين ومن تبعهم (بإحسان إلى يوم الدين)، وقد وضعنا كلمة (بإحسان) تأكيداً على مرتبة القراءة النصية على مدى تاريخ الإنسانية لهذا النهج المتسلسل في أهله إلى يوم الدين، وأهله المخصوصون بهذا المعنى

هم الأوعية المشار إليه في النص النبوي: «**يَرثُ هذا العِلمَ من كلِّ خَلَفٍ عُدولُهُ ، يَنفونَ عنه تَحريفَ الغَالِين وانتحَالَ المُبطِلينَ وتأويلَ الجَاهلينَ**»[(١)].

فقه المبررات والمغالطة أصحابه المحرفون والمنتحلون والمتأولون

وما أضاع عالمية الإسلام في قرار الحكم وقرار العلم وما تفرع عنهما إلا الموصوفون في الحديث (بالغالين، والمبطلين، والجاهلين) وهذه الصفات الثلاث قائمة على ما يعرف في فقه التحولات بالمبررات والمغالطة، وقوامها في إفساد عالمية الإسلام وشرف ديانته (التحريف، والانتحال، وسوء التأويل).

والمتتبع للقراءة التاريخية على ضوء (فقه المتغيرات الشرعي) يدرك بالنصوص انتكاسة الأمة الإسلامية عن موقعها العالمي المشروع، كما يقرأ جملة العلامات المنطبقة على فقهاء المبررات والمغالطة الذين أسهموا في انحدار مفهوم العالمية الشرعية على مفاهيم الطائفية والقبلية وفساد المذهبية وصراع الطبقية ونزعات الإقليمية والقومية والشعوبية، وما تلاها حتى مراحل الغثائية والحزبية والتيارية المرتبطة تاريخياً بالمبدأ الشيطاني العلماني والعلمني والعولمي (فرق تسد).

كلما اختلت عالمية الإسلام في مرحلة انبرى الأئمة لإنقاذ ما يمكن إنقاذه قياماً بالواجب

وكانت مهمة العلماء الربانيين حملة مشروع العالمية الشرعية في كل عصر إنقاذ ما يمكن إنقاذه من طوفان العصبيات والانحدارات، وكأن هذا الأمر يقتضي اتخاذ المواقف العملية للمحافظة على أعلى ما يجب المحافظة عليه قياماً بالواجب والتزاماً للنص الشرعي، وهذا هو محور قراءتنا للعالمية الشرعية المرتبطة بالمدلول القرآني: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي (٢٠٩١١) .

﴿لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ٨٩﴾ [الأنعام:٨٩].

وكفر هؤلاء يشير إلى تخليهم عن ثوابت عالمية الشروط الثلاثية المترابطة، والذين وكلهم الله بها عند تخلي الآخرين ﴿لَّيۡسُواْ بِهَا﴾، أي: بهذه الشروط الشرعية مبدلين ولا محرفين.

الكفر اللغوي والكفر الإصطلاحي

وفي لفظة الكفر المنصوص عليه هنا في الآية يحمل المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي. أما اللغوي فهو بمعنى الستر وإخفاء الحقيقة. وأما الاصطلاحي فهو عقيدة الشيطان: ﴿فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ﴾[الكهف:٥٠] ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦﴾ [الحشر:١٦]، والقوم الذين نحن بصدد إبراز عالميتهم الشرعية لأبنائهم وأتباعهم ـ ولمن رغب التعرف على الوارثين العدول ـ هم المعنيون بالآية الكريمة: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ﴾ [الأنعام:٨٩]، وهم الجامعون لثوابتها الثلاثة، وهم المحافظون عليها من داء الأمم حالقة الدين.

استمدت الطريقة جدارتها من مواقف الأئمة المتسلسلة في منهج السلامة كموقف الإمام الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

ومعتقدي ـ والله أعلم ـ أن هذه المدرسة الأبوية والطريقة العلوية استمدت مواقفها بجدارة التسلسل بدءًا بمواقف صاحب النبوة صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ثم مواقف الإمام علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ منذ بدء مرحلة الخلافة وحسن معاملته مع مراحلها الثلاث، ثم موقف الإمام الحسن رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في إنقاذ ما أمكن إنقاذه من ثائرة الفتن، ثم موقف الإمام الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الذي اختار سلامة أرض الحرم من أن تستباح بمقامه فيه، فخرج مصلحاً في أمة جده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كما أثر ذلك عنه في مقولته رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (وإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجت لطلب النجاح والصلاح في أمة جدي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وسيرة أبي علي بن أبي طالب وسيرة الخلفاء الراشدين

المهديين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ [(١)] ا.هـ، وأقام الحجة على المبغضين القاتلين وعلى المحبين المتخاذلين، ثم موقف الإمام علي زين العابدين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في تأسيسه مبدأ الزهد في القرار وزهده بالأخذ بالثأر ومساهمته في نشر العلم والعدل والاستقرار، ثم موقف الإمام زيد بن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في عدم انصياعه للغلاة ورفضه لهم من الارتباط به وبأتباعه، واختياره الموت على قلة من وقف معه من الأنصار، ثم مواقف الأئمة الأطهار من بعده ممن نكل بهم في السجون وممن ذاقوا التشريد والأذى فكان موقفهم تجسيد قول ربهم سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧﴾ [البقرة: ١٥٦-١٥٧].

مفصل التحول التاريخي لنا هو هجرة الإمام المهاجر

ومفصل التحول التاريخي لنا نحن في مدرسة حضرموت وطريقها موقف الإمام المهاجر الذي اختار الهجرة من أرض العراق إلى وادي حضرموت طلباً للسلامة وتجسيداً لمبادئها العالمية الشرعية، وما ترتب عملياً على هذه الهجرة المباركة إلى عهد الفقيه المقدم، ثم ما ترتب على موقف الفقيه المقدم أيضاً من اختيار طريق الزهد وتأسيس مدرستها الشرعية العالمية مستعيناً في ذلك الأمر بموقف رفيق دربه الشيخ سعيد بن عيسى العمودي، ذلكم الدرب الذي أثمر ثوابت الطريقة العلوية الخمسة : العلم والعمل والورع والإخلاص والخوف من الله، وصارت هذه الثوابت الخمسة قاعدة المنهج الشرعي القائم بأمر الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة إلى اليوم.

(١) من وصية الإمام الحسين لأخيه محمد بن الحنفية عن الفتوح لابن أعثم الكوفي ص (٢١) .

نؤكد جازمين بأن مدرسة حضرموت تحمل صفة العالمية

إن تأكيدنا الجازم على حمل مدرسة حضرموت صفة العالمية تبين لنا ولغيرنا بيقين مدلولات الفرق بينهما وبين غيرها من مدارس الإفراط أو التفريط ، المدارس المنقطعة عن مدلول العالمية الشرعية والقائمة بقوة السلاح أو المال أو السلطان قديماً وحديثاً إلى مرحلتنا المعاصرة.

ولتأكيد هذه العالمية الشرعية نشير هنا إلى ضرورة الدعوة الجادة إلى إحياء ثوابتها في الأحفاد والأتباع لتظل مستمرة العطاء وجيدة الأداء، ولأجل هذا نضع هنا للقارئ مجموع الشروط التي قامت عليها مدرسة حضرموت لتحمل لواء العالمية منذ ذلك الحين، وما يجب علينا إتمامه اليوم والقيام به لإحياء المنهج العالمي الشرعي الميمون:

مبادئ مدرسة حضرموت

(١) مبدأ الهجرة في سبيل الله وخدمة الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والخروج من دائرة الفتن كخروج المهاجر إلى حضرموت.

(٢) مبدأ السلامة وعدم التدخل في الصراع الدائر بين الطوائف والمذاهب والفئات والدمج المباشر بين طلب العلم ونشر الدعوة والتزام منهج التربية.

(٣) الالتزام بمنهج أئمة النمط الوسط من المعاملة بالقواسم المشتركة بين الفرقاء وإشاعة الأمن الاجتماعي والتعايش السلمي.

(٤) البحث عن المخارج والحلول العلمية والعملية المساعدة على تجنب الاصطدام مع حملة القرار أو كتل الصراع المستثار.

(٥) إشغال الأتباع بمبدأ نشر الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة تربية وتعليماً وتوجيهاً ومعاملة في الداخل والخارج.

(٦) تجسيد مبدأ الاكتفاء الذاتي في الرزق والمشاركة في التنمية الاقتصادية بالعمل الزراعي وصناعاته الحرفية التحويلية.

(٧) تحييد منبر الخطابة والدعوة والتعليم عن التدخل المباشر في حومات الصراع السياسي أو الفكر المتمرحل، ووضع ثوابت دعوية ومنبرية وتعليمية لتحديد لغة الخطاب.

(٨) تنمية وتطوير مبدأ الزهد أو ما يسمى بالذوق الصوفي سواء فيما يتعلق بالمدرسة أو بالطريقة، وتقعيد فهم الزهد في موضوع القرار، ومواطن الفتن، وأربابها، والزهد في حمل السلاح أو المشاركة مع حملته.

(٩) الزهد في مقارعة الخصوم أو مجادلتهم وتجنب الإثارة الموجبة للوحشة الاجتماعية.

(١٠) حسن التعبير عن رأي أئمة الطريق في شأن المستقبل، ودور المدرسة وأتباعها في الولاء والانتماء، واعتماد نصوصهم المثبتة في أقوالهم وأشعارهم.

(١١) تجسيد ثوابت الطريق الخمسة - العلم والعمل والإخلاص والورع والخوف من الله - كقاعدة بلاغ وإبلاغ لنشر الدعوة إلى الله.

ملاحظة تحليلية

قراءة مستقبلية من لسان من لا ينطق عن الهوى ﷺ

جاء في المطلع النبوي لهذا الكتاب حديث رواه ابن ماجه، وفيه أمور:

- تغير لون النبي ﷺ حتى اغرورقت عيناه بالدموع لما أقبل عليه فتية من بني هاشم، وفي هذه الحالة إشارة بَيِّنَةٌ إلى قراءة النبي ﷺ للمستقبل من خلال (ذراري آل البيت ومشاهدته لهم)، وتذكرةٌ لما سيقع لهم في مستقبل الزمان.
- قوله ﷺ: «**إنَّا أهل البيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا**»[1]، وفيه تحديد شرعي لمصيرنا الحتمي في ضرورة التفهم لمراد الله فينا وهي الآخرة، وأنها الطريق الذي لا يزاحمنا فيها أحد إن توجهنا إليها ونفضنا الدنيا عن أيدينا، وهذا ما فعله سلفنا الصالح الذين جمعوا بين اختيارين أزليين :

الأول: المحافظة على شرف الاختيار الرباني بالتطهير: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾[الأحزاب:٣٣].

الثاني: اختيار الله لنا الآخرة على الدنيا ، فعمل السلف الصالح عند ظهور الفتن والتزاحم على الدنيا وسلطانها وعرضها كان بالالتزام بالعمل للآخرة في أنفسهم وفي خويصتهم ومن ارتبط بهم اختياراً لا إجبارا.

---

(١) تقدم أول الكتاب .

- قوله: **«وإن أهل بيتي سيلقون من بعدي بلاء وتشريداً وتطريداً»**، وقد حصل ذلك على مدى التاريخ المتحول جيلا بعد جيل منذ بداية الملك العضوض إلى أن يقضي الله أمراً كان مفعولاً، وفي هذه المراحل تعرض آل البيت إلى ما أشار إليه الحديث، ولم يسلم منهم إلا من التزم التوجيه النبوي ، واختار الله الدار الآخرة لهم ولأتباعهم ولأحفادهم.
- قوله: **«حتى يأتي قوم مِن قِبَل المشرق»**، وفيه إشارة إلى الالتزام من أجيال آل البيت بالسكون وعدم التدخل في الفتن الباترة والصراعات الدائرة على مدى تاريخ التحولات، وحتى أثناء ظهور هذه الرايات الآتية من قبل المشرق، يُلزم السكون على مدى المراحل السبع الموصوفة في الحديث:

الأولى: مرحلة الفتن السائدة.

الثانية: مرحلة ظهور رايات المشرق.

الثالثة: مرحلة سؤالهم الخير فلا يعطون.

الرابعة: المقاتلة حتى ينصرون.

الخامسة: يعطون ما سألوا فلا يقبلونه.

السادسة: يدفعونها إلى رجل من أهل بيتي.

السابعة: فيملؤها قسطا كما ملأوها جوراً . وفي هذه الرواية يشير الضمير في قوله «**يملؤها**» إلى كافة القوى المتناحرة بما فيهم حملة الرايات السود أنفسهم.

وفي هذه المرحلة السابعة تكون مرحلة الامتداد والحركة للقسط والعدل، فمن أدرك ذلك منكم يا أحفاد وأسباط آل البيت فليأتهم ولو حبواً على الثلج، وأما ما قبل ذلك فإن السكون والعمل للآخرة مع كل الأطراف وعدم المشاركة في الفتن والملاحم والتحولات هو عين الاتباع الصحيح لتوجهات من لا ينطق عن الهوى ﷺ.

اللهم اهدنا بهداك ، واجعلنا ممن يسارع في رضاك ، ولا تولنا وليا سواك ، ولا تجعلنا ممن خالف أمرك وعصاك ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أخوكم طالب الدعاء وباذله

أبوبكر العدني ابن علي المشهور

تمت الرسالة بحمد الله

في جدة المحروسة

١٣ صفر ١٤٣٣هـ

فهرس المصادر

١. تفسير القرطبي ، محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (المتوفى : ٦٧١هـ) ، تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية ط : الثانية ، ١٣٨٤هـ .

٢. صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل البخاري تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر ، دار طوق النجاة ، ط:الأولى، ١٤٢٢هـ .

٣. صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت : ٢٦١هـ) ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي .

٤. مسند الإمام أحمد ، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت : ٢٤١هـ) ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون ، إشراف: د عبد الله عبد المحسن التركي ، مؤسسة الرسالة ط: الأولى، ١٤٢١ هـ .

٥. سنن ابن ماجه ، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، (ت: ٢٧٣هـ) ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية .

٦. سنن أبي داود ، أبو داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني (ت: ٢٧٥هـ) ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، صيدا .

٧. السنن الكبرى ، أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت: ٤٥٨هـ) ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ، دار

الكتب العلمية، ط: الثالثة، ١٤٢٤ هـ .

٨. كتاب الفتن ، أبو عبد الله نعيم بن حماد المروزي (ت: ٢٢٨هـ) ، تحقيق : سمير أمين الزهيري ، مكتبة التوحيد ، ط: الأولى، ١٤١٢.

٩. مصنف ابن أبي شيبة ، أبو بكر بن أبي شيبة (ت: ٢٣٥هـ) تحقيق : كمال يوسف الحوت ، مكتبة الرشد – الرياض ، ط: الأولى، ١٤٠٩.

١٠. ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى ، محب الدين أحمد بن عبد الله الطبري (ت: ٦٩٤هـ) ، مكتبة القدسي بالقاهرة ، ١٣٥٦ هـ .

١١. المعجم الكبير ، سليمان بن أحمد الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت: ٣٦٠هـ) ، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي ، مكتبة ابن تيمية – القاهرة ، ط: الثانية .

١٢. البداية والنهاية ،أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (المتوفى: ٧٧٤هـ) ، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي ، دار هجر ط: الأولى، ١٤١٨ هـ .

١٣. تاريخ الطبري ، محمد بن جرير الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) ، دار التراث – ط: الثانية – ١٣٨٧ هـ .

١٤. التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة ، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) ، تحقيق ودراسة الدكتور: الصادق بن محمد بن إبراهيم ، مكتبة دار المنهاج ط: الأولى، ١٤٢٥ هـ .

الفهرس